تأليف: عمري يونس.

1.الإختطاف

إن الظلام حالك إنه أشد ظلمة من الاسوداد مثل شخص أسود في سرداب لا يرى منه شيء، أأنا في قبو؟ كلا إني أسمع صوت... ما هو يا ترى ؟ أحاول أن أصغي إليه بشدة، أجل إنها وقعات أقدام إنهم يسيرون وكأنهم يحملون شيء، ما عساه يكون ؟ ما هذا الزرير الذي أسمعه بوضوح ؟ إنه تابوت إنني أنا بداخله ،كيف وصلت إليه؟ من هؤلاء الذين يحملونني ؟ إلى أين أنقاد ؟ ليس بوسعي الخروج فأنا مكبل اليدين والأقدام لست قادر على التحرك محاولتي كلها يائسة في تحريك جسدي، ما هذا العجز الذي أشعر به الآن ؟ لم يمر علي في حياتي قط، وكأنني شللت... حقا ضعفي هذا جعلني أبدوا وكأنني حشرة ، حتى الصراخ لست قادر عليه وكأن صوتي ضاع مني..، ما هذا الاهتزاز؟ إنهم يضعون التابوت وها هو شيء من الضوء يتسلل من خلال الصدوع لينير لي بعض الظلال الغريبة، التابوت على وشك أن يفتح ، أخيرا سأعرف أين أنا؟ ومن الذي جاء بي؟.. وبعد فتحهم إياه أخرجوا منه صبي ذي بضعة شهور وملئ صوت بكائه كل القاعة ، لقد كان بجواري كل الطريق ولم أنتبه له حقا، إن الظلام في التابوت شديد ومرعب... لقد كان نائما طوال الطريق وكأنه ميت، ثم وفي لحظة بعد إخراجه بكى كل هذا القدر من فعل قرصة وجهها له حامله، لقد كان الذي حمله شيخ طاعن في السن ذو وجه مستدير بشع المنظر أنفه وكأنه حبة طماطم قذرة بها شامة سوداء ورائحته كريهة ، أجل لقد

كانت تنبعث منه رائحة الجيفة وكانت بضع شعرات متناثرة على وجهه ويضع على رأسه رداء، ثم أخذ الصبي إلى دائرة مرسومة بالدم ومكتوب ومرسوم عليها كلمات وأشكال في غاية الغرابة وكان يحمل في يساره سكين ، ثم تمتم بجملة من الكلمات الغير المفهومة وقام بذبحه.... وها هو الدم يتناثر منه ليلطخ القاعة ويلطخني معه وها هي جماعة غريبة تحظر بملامح السرور التي تشير عن الرضى بعمل غاية في البذائة وكانت أشكالهم غير مألوفة كليا، فقد كانت لهم قرون وأقدامهم كأقدام العنز وملامح وجههم قبيحة تماما كالشياطين، نعم لقد كانوا شياطين حقيقية وكانوا كما بدا لي أنهم على رتب، وأنهم يمارسون طقوس السحر، وأنا أنظر لكل هذا دفعة واحدة في دهشة وخوف جمد ساقي إذ ألحظ أن هذا الجمع غير مهتم بي وكأني لست ملحوظ... وأني حر طليق أجوب المكان كما أشاء، ثم التفت إلى مجموعة من الفتية يرتجفون خوفا ووجوههم بيضاء شاحبة كادوا من شدة حالهم أن ينسوني وصف المكان..

2.عالم الشياطين

لقد كان مظلم، حجارته كلها سوداء، الجدران سوداء والأرضية كذلك حتى السقف، سواد في سواد. ثم توجد الانارة خافتة جدا وهي عبارة عن لهيب بسيط موجودة في كل الجدران لتجعل من القاعات منطقة للرعب جد موحشة يهابها الشجعان، أجل فما يحدث فيها لا يسع أن يتحمله أي قلب، وحدهم الشياطين من يفعلون ذلك.. حتى أولئك الشيوخ ليسوا ببشر، لقد كانوا شياطين إنس، لقد كانت مدينتهم هكذا مظلمة وموحشة مليئة بالدماء للحد الذي جعلهم يغتسلون بها

بدل الماء.. والنتانة تصدر منه بكثرة مما جعل الهواء خانق يصعب فيه التنفس ، لقد حضرت أربعة مجموعات أخرى يحملون توابيت مثل التي جائوا بها بي إلى هنا وهاهم كذلك شيوخ وحتى عجائز يخرجون منها صبية بمثل سن ذلك الصبي قبل قليل وقاموا كذلك بذبحهم وفق الشروط نفسها التي ذبحوا بها الصبي الأول وتناثرت الدماء أكثر، ثم ما هذا الذي أسمعه الآن؟ ما وطأة الأقدام هاته؟ إنها تشبه صوت قدوم جيش قابل على الغزو... لقد جعلت شدة وطأة أقدمهم تهز الأرض... شياطين وسحرة كانوا، لقد أتوا بعدد كبير... يبدو أنهم على وشك فعل شيء ما..، لقد أغمي على أولئك الفتية بسبب هاته الأهوال خاصة الحدث الأخير منها ، ما الذي على وشك أن يحدث بعد هذا ؟..

3.الطقوس

حسنا سأخبركم ما حدث، حينما وصلوا كانوا قد أحضروا معهم بضعة ملابس تبدو فاخمة الصنع عليها طلاسم ورموز غريبة عرفت منها فقط شكل نجمة وشمس وعين وثور، ووجوه مخيفة... ثم بدأو يقرعون الطبول ويصيحون بألحان تبث الرعب في النفوس.. واقترب خمسة شياطين شكلهم مختلف عن بقية الشياطين العادية إلى شيطان مختلف عنهم كليا.. آه لقد نسيت أن أخبركم عن رتب الشياطين رغم أني سبق أن أشرت لذلك، فهناك الجنود وهناك المردة وأصناف أخرى.. ولكل منهم مسؤولية، فالمردة مسؤولون باختراق السمع والاتيان ببعض أنباء الغيب ليقدموها للسحرة حتى يتسنى للناس أن يصدقوهم. والجنود منهم من يوسوس للأعمال الآثمة، ومنهم من مهمته أن يتلبس أجسام الناس..، وقد كان هؤلاء الشياطين الخمس من ذوي الرتب العليا يقتربون إلى سيدهم وهم برفقة ثلاث عجائز وشيخان (أولئك الذين قاموا بذبح الصبية الخمس قبل قليل) وهاهم الآن يسجدون لسيدهم ثم يلبسهم تلك الأعباء ويبدي رضاه عنهم بقوله " لقد أصبحتم الآن سحرة بحق، ويسرنا التعامل معكم وأن نكون في خدمتكم ما دمتم في عبادتنا وطاعتنا".. إذن لقد كان أولئك الصبية عبارة عن أضحية قربانا للشياطين من أجل إعلان مراسيم السحرة... لم يكن من السهل أن تصبح ساحر، لقد كانت هناك شروط أذكر لكم منها: أنهم كانوا يقومون بالاختلاء في قاعة مظلمة وهادئة بعد منتصف الليل، وكانوا قبل بدء الطقوس يقومون أولا بتهيئة الغرفة أو القاعة

وذلك بملئها نجاسة وجيفة وتركها لأيام تتعفن، ويجب أن تكون هذه القاعة في أمكنة خالية كالغابات والصحاري، ثم بعد ذلك يذبحون فيها الكلاب باسم الشيطان ويرسمون بدمائهم دوائر ثم يقومون برسم طلاسم داخلها ويشترط عليهم أن يكونوا عراة أثناء تأديتهم لهذه الطقوس، وبعد انتهاء رسمهم يقومون بتبخير القاعة حتى يصبح البخار مثل الضباب، حينها يتمتمون ببعض الأقوال فيقولون " حضور حضور آتونا مساعدين نكون لكم عبيدا مطيعين، كفرنا بما سواكم ونحن لكم عابدين.." حينها يحضر أحد الجنود ليختبرهم، ويكون الاختبار على حسب دينهم، فمثلا إن كان مسلما يطلب منه أن يكفر بالله الأحد الصمد وأن يمزق القرآن ويضع عليه القذارة ويدوسه وأن يسجد للشيطان مقسما له الطاعة والعبادة، فإن هو فعل ذلك فقد تم تقبله، ويأخذه الجندي إلى عالمهم فيقدمه إلى المارد ويقسم له الولاء، ثم يعطيه المارد كأسا من الدم ويطلب منه شربه وغسل وجهه به وأكل ذلك الكلب فحين اذن يعطي اليه الرداء ويصير ساحرا، كذلك طريقة أخرى أذكرها لكم وهي : عن طريق تجمعهم في غابة تكون في قمة جبل وذلك بعد منتصف الليل كذلك ، ثم يأخذ كل واحد منهم خيط أحمر رفيع ويصل كل شخص طرف حبله بصاحبه ، فمثلا يعطي الشخص رقم واحد طرف من خيطه للشخص الذي يقابله من جهة الشمال ثم يقوم كذلك الشخص رقم اثنان للشخص رقم ثلاثة ، وهكذا حتى يعود الخيط للشخص رقم واحد من الشخص الذي يقابله

من جهة يمينه، ثم يقوموا بربط أطراف خيوطهم بأطراف خيوط أصحابهم ويضعونها على الأرض، ثم يحيطون أنفسهم بدائرة يرسمونها بعظام الميت وبعد ذلك يكتبون طلاسم داخل تلك الدائرة وبالضبط في المربعات الناجمة عن تقاطع الخيوط ،ويأتوا بعد ذلك بالأضاحي، إما كلاب سوداء أو صبيان أو دجاج.. وكان هناك البعض يأتي برجل أو امرأة وكان هذا النوع من الأضاحي هو المحبب لديهم نظرا لصعوبة احضارهم، ثم بعد ذلك يذبحونهم ويقطعون رؤوسهم ويعلقونهم في الأغصان ويجعلون ذلك الدم الذي يقطر منهم يسيل على أيديهم ويرسمون به على كل وجوههم، ثم يفرغون كل الدم الموجود في أجسامهم ويفرغون بعضا منه على الخيوط وبعضا فوق رسم الدائرة، ثم بعد ذلك يشعلون نارا وسط الدائرة ويطفون عليها وهم يومؤون برؤوسهم ويصرخون ويصيحون بعبارات تستدعي حضور الشياطين.

4.الحضور

ثم تطفئ النار فجأة كأنها لم تشتعل بتاتا ويظهر سرب من الغربان تحلق من الأشجار إلى السماء بمسافة قريبة ثم تختفي، ويأتي صوت يشبه انفجار البركان ثم يفتح بابا من عالمهم ويحضر إبليس، وفي لحظة وصوله صرخ صرخة

هزت كل ما حوله هرع منها كل من في الغابة حتى الأسود ارتعشت لها ولم تقوى على الحراك ما جعلها تفر إلى عرينها كفرار الأرنب لجحره، لقد كان حضوره مرعب أشد ما يكون.. وكيف لا وهو ضخم جدا، لقد كان وكأن جبلا حط على جبل فيا لشموخ طوله..، العجيب لم يرى ذلك سوى السحرة وأمكن فقط الحيوانات أن يشعروا به، أما باقي الناس من كانوا في الغابة أو قريبين منها فلم يلحظوا ذلك ولم يتمكنوا من رأيته رغم ضخامته، وذلك أن الناس محجوب عنهم رؤية الشياطين إلى الذين يأخذون منهم ميثاق ويتعهدون لهم من يمكنهم الرؤية، ومع ذلك لم يكن حضوره إلى عالم الإنس بشكل كلي، بل فقط فتح بوابة من عالمه إلى عالمهم ووجوده كان في الوسط بينهما، وكان على جانب البوابة أفاعي وعقارب وعناكب، وكانت أحجامهم متفاوتة.. أصغرهم العناكب التي كانت أضخم من الغوريلا في عالمنا. وكانت تلك الأفاعي تنفث النار، أما العقارب فكان يسيل منها سما كالحمم ما إن تسقط على الأرض حتى تذيب ما حولها، أما العناكب فكانت تتغذى على الجثث المطروحة أمامها.. وكان إبليس إضافة إلى ضخامته أشد ما يكون بشاعة.

5.الاحتفال

وبعد حضور إبليس قدم بعض جنود إبليس في موكب كأنه موكب عرس، بل كان كذلك..، فاللذين أرادوا أن يصبحوا سحرة كان عددهم اثنا عشر، أربعة نساء في منتصف العمر وعجوزتان وشابة في العشرين، أما الخمسة المتبقين فقد كانوا رجلين وثلاثة شيوخ، وكان إبليس جد مسرور بالذي قاموا به لذا أراد أن يتزوج كل منهم بالشياطين وذلك حتى يكونوا أكثر تقربا ومكانة ومن سادة السحرة، فقد كان السحرة على مراتب ومنازل طبقية ويتلقون الأوامر والطاعة من الأعلى إلى الأسفل وذلك بحسب أعمالهم وكيفية تقربهم والطريقة التي يعقدون بها الميثاق مع الشياطين، وكان الميثاق الذي ينعقد عن طريق الزواج من العهود التي تجعل أصحابها أمراء السحرة، أما العرس فقد كان فاضح وفاحش لا يسعني أن أذكر لكم بذاءة ما يقومون به من شذوذ وممارسات..، ألا ليت أنهم فعلوا ذلك فقط بين الأزواج المقررين رغم أنهم جهروا علانية، بل زادوا على ذلك بأن كانوا يتبادلون الأزواج فيما بينهم وهم مسرورين ويضحكون منبسطين، فيا لعدم استحيائهم وغيرتهم..، أن تصبح ساحرا فمعنى ذلك أن تتخلى عن جميع القيم برضى وطواعية ومحبة في ذلك، ثم بعد الانتهاء من ذلك قامت العناكب بمسحها للآثار الموجود في الغابة وبالطبع تلك التي خلفها

السحرة من أضاحي ودماء ورسوم لأنها كانت مواد من عالم الإنس فبالإمكان للبشر أن يروها. الآن سأسرد لكم ما يتعلمه هؤلاء السحرة من أعمال سحر وما الذي يقومون به بعد التعلم.

6.التعلم والعمل

أما من بين ما يتعلمونه فبإمكانهم أن يجننوا الشخص ويحطمون حياته وأن يجعلوا منه انسانا فاشلا بل وحتى يقتلونه، وذلك بأن يقوم الساحر بإرسال شيطان إلى الشخص المراد سحره فيتلبسه ويبدأ الشيطان بالوسوسة والتأثير على ذلك الشخص، فمثلا إن كان ناجحا في دراسته يصبح كلما أراد أن يدرس يؤلمه رأسه وتحرقه بطنه ويشعر بالدوار والصداع وكأن جسده صار مشلولا.. فإن هو ابتعد عن الدراسة زال عنه الألم كله وعاد اليه نشاطه قوته.. فإن أراد أن يستغل هذه الطاقة والعودة إلى الدراسة عاد اليه ذلك الشعور من جديد..، حتى يبدأ في ملاحظة هذا الأمر، فإن هو ذهب إلى الطبيب ليتعالج يجد أن الفحص يشير إلى عدم

وجود أي مرض وأنه بصحة تامة وأن ذلك مجرد أوهام أو اضطرابات نفسية..، فيشعر حينذاك كأن الطبيب يستهزأ به أو أنه يخبره بطريقة غير مباشرة على أنه يكذب فقط ويدعي المرض، فيؤثر هذا الأمر على نفسه ويستمر الألم وتصعب الدراسة حتى يخفق.. فيأدي به ذلك إلى الجنون أو الرضوخ لحياة بسيطة أو الانتحار..، وكانوا كذلك يفرقون بين المرء وزوجه، فقد كانوا يرسلون الشيطان إلى الإنس فيتلبسه ويأمره بكره من يحب ويخلق له مشاكل معه حتى تصبح بينهم العداوة والبغضاء بدلا من المودة السابقة فينتهي بهم الأمر إلى الفراق، وكذلك يجعله يحب من لا يكن له أي شعور رغما عنه فيقربه إليه ويجعله معه. وكانوا لا يأدون هذه الأعمال إلا بطلب الإنس أنفسهم..، فيا لحقارتهم هم كذلك و يا لشيطنتهم. وكل هذا ناتج عن أسباب دوافعها الغيرة والحسد، فمثلا فارس زميل مصعب في الدراسة وكذا ابن خالته كان يغير منه ويحسده بسبب تفوقه عليه وأنه أحسن منه، فكانت حتى خالته لا تطيق هذا الأمر، ولما وصلا إلى مرحلة النهائي دخل مصعب الكلية بتفوق بينما فارس رسب وسلك طريق لا صلاح فيها فأبت خالته إلا أن تفسد الأمر على مصعب وتحطمه، فلجأت إلى ساحرة عجوز وطلبت منها أن تساعدها على ما هي عازمة عليه من شر وتدمير للفتى، فطلبت منها الساحرة أن تحضر لها فقط اسم الفتى وأسماء أبيه وأمه وجداه وجداته، وحددت لها السعر بقرط من ذهب ومبلغ من المال فأعطتها كل ذلك، وعندئذ

قامت الساحرة بجلب ماء كان قد اسعمل في تغسيل الميت وقامت كذلك بجلب جثة صبي ميت من المقبرة وقطعت يداه وقامت بوضعهم في الماء ورسمت على ما حولهم رموز طقوسية استحضرت فيها الشيطان وطلبت منه أن يتلبس فلان ابن فلان من كذا والدين وأجداد وأن يقوم بعد تلبسه بإفساد عيشته الهنية الناجحة، ثم قامت الساحرة بإعطاء الماء لخالته وطلبت منها أن تضع منه في أكلة يتناولها وأن يشرب منه إن استطاعت تأدية الأمرين معا، وإلا فإما الطعام أو الشراب.. المهم في ذلك هو أن يقع السبب، فقامت خالته بإعداد وليمة عزمت فيها كل من أختها وابنها وقدمت لهم أكلا معد بالماء الذي جلبته من الساحرة، فصرهما الحضور وتناولا منه بحسن نية وشكراها على صنيعها وقضوا عندها وقتا ككل الزيارات العائلية ثم غادرا. وبعد حوالي أسبوع من الزمن أصاب مصعب حالة شعورية اجتاحته وآلمته وكأنما قام أحدهم باقتلاع صدره ثم اختفى الألم وبقيت آثار الصدمة تزعجه إلى أن انقضت العطلة، ولما بدأت الدراسة وبدأ يكد ويجتهد ولما قارب أول فصل على الزوال وذلك بإجراء الامتحانات، أصابه من الأعراض ما كنت قد ذكرت لكم حتى مل الدراسة وأوقفها، وأخذ من حياة الشارع ملاذا له.. كل ذلك من أجل أن يرتاح من الأعراض التي كادت تجننه.

ومن الحالات التي رأيتهم يستعملونها في التفريق بين الزوجين، أن إحدى الأمهات قامت بالذهاب إلى ساحرة لتطلب منها المساعدة في جعل ابنها يطلق زوجته، فقد كانت

هذه الأم تعجبها إحدى الفتيات وأرادتها زوجة لابنها لكن هذا الأخير أبى ذلك وتزوج بأخرى تخرجت معه من الجامعة وكان يحبها وكانت العلاقة بينهما لا تشوبها شائبة، فلبت الساحرة طلبها وأعانتها على ذلك. فجلبت بضعة سحالي ومزقتها وهي حية ثم عصرتها وطلبت من أم الرجل أن تجلب لها بعض من شعر زوجته وشيء من ملابسه، ثم بعد ذلك قامت بخلطهم ومارست بهم طقوس استحضرت بها شيطان عمله فقط التفريق وطلبت منه أن يتلبس هذه الزوجة حتى تفترق عن زوجها.

ووضعت تلك الأشياء التي مارست بها الطقوس في كيس وأمرت المرأة بأن تمزقها وتلقيها عند باب زوجة ابنها، إذ لابد من أن تمر عليها حتى يعمل مفعوله، فكان الأمر كذلك ووضعته في الصباح مباشرة بعد مغادرة ابنها، ولما همت الزوجة بالخروج انتبهت له ولكن بعدما أن داست عليه، فنظفت المكان وانصرفت لشأنها ظنا منها أنه فقط أوساخ وضعتها حماها لتغيظها فحسب، ولما انقضت أيام صارت تمر بحالة من الاكتئاب فيما يظهر، ولكن فيما بطن هو أعراض سحر..، فأصبحت كثيرة الخمول و التثاؤب وقل تركيزها وصارت تنفعل لأتفه الأسباب وتتجنب الحديث إلى زوجها والبقاء معه، حتى شعر أنها صارت لا تطيقه، وسكن في نفسه الشك من ذلك ولكنه احتمل بأن الأمر مجرد مرض وأنها تمر بأوقات عسيرة فاستلطفها وسايرها وعرض عليها أخذها إلى الطبيب النفسي فكان الأمر كذلك، وقد ساعدها

بعض الشيء في تخفيض ألمها ولكنه لم يشفها من ذلك وازدادت حالتها سوء حتى صارت تفتعل الخصام مع زوجها خاصة بعدما لاحظت أن الأعراض تزول عنها عندما لا تكون بجواره وذلك بعدما قضت أسبوع في بيت أهلها فتحسنت هناك وشعرت بالصحة والراحة، كذلك الزوج لم يعد بمقدوره التحمل فغلب عليه الغضب وعرض عليها الطلاق..، الأمر الذي وافقت عليه الزوجة بغير تردد مما زاد ذلك في شك الزوج وعجل في الطلاق وكان لأمه ما أرادت ففرحت بفعلها الشيطاني. وكانوا السحرة لا يقبلون على هذه الأعمال إلا لأسباب وهي مادية: المال، الشهرة، وطاعة الناس لهم، لأن السحرة حقراء تافهون يصنعون أي شيء لإشباع رغباتهم. والسحرة كانوا على علم تام بطبيعة الانسان وما قد يفعلونه لأنهم أنفسهم أناس وقد لجأوا حتى هم إلى السحر لإشباع رغباتهم، وكان بعضهم يلجأ إلى احضار جثة ميتة ويستحضر فيها شيطان فيتلبسها وتتحرك تلك الجثة ثم يدعي أنه يحي الموتى فينبهر الناس لما يرونه ويصدقون، فتثار رغبتهم في الحياة، وفي سبيل إلى الخلود أو الاشتياق لأحد موتاهم يصبحون يتوسلون للساحر ويقدمون له الطاع والمال ويشهرون به، وكان يلجأ إليهم حتى رجال الأعمال يستشيرونهم في مشاريعهم ويتنبؤون لهم عن من يحسدهم ويطلبون منهم الحماية لأجل ذلك، وكذلك المشاهير خاصة منهم الفنانين ليسألوا عن ما يضمره لهم المستقبل..، لهذه

الأغراض كان يتعلم السحر وعبادة السحرة للشياطين هو سبب وأساس تعليم الشياطين السحر للناس وخدمتهم.،

يا إلهي لقد جعلتني كثرة هذه الأحداث أنسى أمر أولئك الفتية لولا هذه الجلبة التي تحدث الآن لما انتبهت أنهم استيقظوا من غيبوبتهم ولما تذكرت أن أخبركم عن سبب مجيئهم والغاية منهم.

7.الفتية

كان مجموعهم إحدى عشر سبعة شبان وأربعة فتيات، كان أسماء أولئك الشبان يوهان وزاراك ونمير وألفونس وجون وبيير وأسامة، أما الفتيات فهنّ مروى وسوزان وتيريزا وسارة. لقد كانوا مختلفين الأنساب والأعراق والألوان، فقد كان يوهان ذو السابعة عشر ذا بشرة صفراء وشعر بني معتدل القامة نحيل بعض الشيء، أما زاراك فقد كان ضخم العضلات ليس بالطويل أسود البشرة مجعد الشعر وعيناه جاحظتان وكان يبلغ من العمر عشرين، ونمير كان كذلك بسنه لكنه أبيض البشرة مائل للصفرة شعره أسود رطب ذو ملامح صيبوية حاد البصيرة ذكي وفطن، وكانت سوزان بمثل قدراته غير أنها عصبية بعض الشيء ما يدفعها إلى التهور بعض الأحيان وكانت في الثامنة عشر شقراء وبيضاء غاية في الجمال، أما أسامة الذي هو بمثل سن سوزان كان أسمر ذو شعر طويل عيناه بنيتان وسيم الوجه قوي البنية عادي القدرات الذهنية لكن ما يميزه هو أنه شديد الملاحظة، وبيير صاحب العصة المزركشة بالريش لون بشرته حمراء وطويل القامة والشعر مفتول العضلات كان يجيد التعامل مع مختلف الحيوانات وكان يحب الطبيعة ويألفها وتألفه، عكس ألفونس صاحب البشرة البيضاء والشعر الأصفر، أزرق العينين الذي يبغض الطبيعة ويشمئز من كل شيء غير أنه كان ذكي لكنه مغرور متعجرف. أما عن مروى فقد كانت تبلغ من العمر ستة عشر سنة وكانت معتدلة القامة متوسطة

الحجم شعرها طويل إلا أنها لم تكن جميلة، فملامح وجهها بعيدة كل البعد عن الجمال وكانت عمياء وربما هذا ما جعل منها فتاة طيبة خلوقة صبورة. بينما كانت سارة أبلغ منها جمالا فعيناها رماديتان وشعرها ذهبي بريئة الوجه وتفاصيل ملامحها ساحرة كسحر البدر عند اكتماله وجسمها فاتن وكانت تكبر مروى ببضع سنين وكانت متزوجة برجل أحبته، كانت غاية في الود والاحترام لينة سهلة حادة الذكاء.. لقد كانت حقا من المتميزين ين هؤلاء الفتية الذين جاءوا معها.

وآخر من تبقى منهم هما جون وتيريزا الأخان اليتيمان، كانت تيريزا هي الكبرى البالغة من العمر عشرين عاما سمراء عيناها زرقتان وشعرها أسود، وكان أخوها جون الذي يصغرها بقرابة سنتين بمثل خلقتها وكانت هي كذلك بمثل طوله وتقريبا بنفس بنيته غير أنه كان أكثر منها بديهة وحدة بصره رغم الظلمة وقدرته على سماع الأصوات الخافتة وأخته كذلك تقاسمه سمة السماع وكانا يجيدان القتال جيدا لكونهما تربيا في دار أيتام ظروفها حتمت عليهما كل هذا.

هذا كل ما عرفته عن هؤلاء الفتية للآن، لكن لما جيء بهم لهنا ؟ وكيف ذلك؟ وما الغاية منهم ؟

8.الغاية

لقد جيء بهم لغاية واحدة ومشتركة ألا وهي تعليمهم السحر وجعلهم من الصفوة، فقد كانوا يحضرون شبان كثر لهذا الغرض وكانوا يضعون كل مجموعة منفصلة عن الأخرى، فمن كان منهم ضعيف النفس جبان يستسلم لهم خوفا ويتعلم إكراها ويمضي في ذلك السبيل فقط لأجل أن يضل حيا، وأما من كانت نفوسهم قبيحة شريرة فإنهم يفتتنون بما يرون ويقبلون على التعلم حبا وتنافسا فبئس القوم هم، وكذلك كان

صنف هو الأكثر من تشترك فيهم نتيجة واحدة بنسبة كبيرة وهم أصحاب النفوس البريئة والضعيفة التي تميل إلى عدم تدنيس نفسها بهذه الأعمال الشيطانية مهما كانت النتيجة وهؤلاء هم من كانوا عائقا على الشياطين ويسببون لهم إزعاجا كبيرا وتعبا كثيرا، فقد كان يتحتم عليهم أن يصدوهم من ذلك الموقف الذي يتخذونه.. وعليه فإنهم يلجؤون إلى الوسوسة وإغوائهم وإغرائهم بكل ما أتيح لهم من وسائل حتى يستجيب البعض إليهم، ثم يلجؤون إلى تخويف وترهيب من لم يستجب فيميل كذلك البعض وأحيانا لا يستجيب أحد، حينئذ يذبحون أمامهم بضعة أفراد منهم فحينها تستجيب كذلك طائفة جد قليلة، أما الذين لا يستجيبون بعد هذه المرحلة فإنهم لن يفعلوا ذلك مطلقا مهما كانت الظروف، وهؤلاء تكون نتيجتهم نهاية مأساوية..، فمنهم من يجن حتى يقتل نفسه ومنهم من يجن ويبقى على تلك الحال وعليه فإنه يصبح عبئ ويلقى حتفه على يد الشياطين، ومنهم من يقوم بالانتحار حتى يتخلص من هول ما رآه ومنهم من يصاب بسكتة قلبية فيلقى حتفه على إثرها وكان هؤلاء هم أخفهم عذابا، وعلى الرغم من اختلاف نهايتهم إلا أنها مشتركة وواحدة بنسبة كبيرة ألا وهي الموت.

ثم بقي صنف آخر وكانوا هؤلاء هم أفضلهم وأقلهم، إنهم أولئك الشجعان ذوي النفوس القوية الثابتة الطاهرة المحبين للحرية التواقين لها وإن لزم عليهم أن يلقوا حتفهم من أجلها، الرافضين لكل أعمال الشر والذل والهوان، الخائضين في

المغامرات وكأنهم خلقوا لها وخلقت لهم، وكان الفتية الإحدى عشر الذين ذكرتهم لكم من بين هؤلاء الصنف.

بعد الذي رأوه قرروا كلهم في قرارة نفسهم الهروب من هذا المكان، هم ليسوا أول من حاول ذلك، فهناك من حاول قبلهم ومنهم من نجح ومنهم من باتت محاولتهم بالفشل لكن العجيب في هذه المجموعة أنهم اشتركوا كلهم في اتخاذ هذا القرار حتى أنهم لم يتشاوروا في ذلك مطلقا وكلهم وضعوا بداية الخطة في طي الكتمان وشرعوا في تنفيذها كأنهم توافقوا عليها وذلك بأن يقبلوا طلب الشياطين ثم الهرب متى سنحت الفرصة، لكن كان لزاما عليهم أن يقسموا الولاء للشياطين وطاعتهم، فكانت تلك الطرق التي ذكرتها سابقا هي آخر ما يفعلونه في نهاية تعلمهم وكانت تعتبر كذلك دليل على أنهم سحرة.، أما الوسيلة التي كانت معتمدة في البداية فهي أن يوضع على معصم أيديهم ختم بشكل دائرة ونجمة سداسية مكتوب عليها بضعة رموز، فكانت هذه الأختام تشير إلى أن من وضعت عليهم قد تجردوا من انسانيتهم وما كانوا عليه من أخلاق وأنهم أصبحوا أتابع للشياطين وإخوانهم يتبادلون المصالح ويشتركون فيما يعود عليهم بالنفع، وكذلك كان الشياطين يستعملون تلك الأختام في مراقبتهم وتعقبهم وكانت أداة للتواصل فيما بين الشياطين والمتعلمين وفيما بين المتعلمين أيضا، لكن الشياطين أخبروهم بكل ذلك عدا أنهم مراقبون، فترى لما عساهم ذلك؟ أما كان ذلك أفضل؟ فلو علموا أنهم مراقبون لم يكن أحد ليتجرأ على محاولة الهرب

أليس كذلك؟ لقد كان هناك سبب خطير وفي غاية السرية سأخبركم عنه حين وقته.، لكن السر الذي سأطلعكم عليه الآن هو أنني سمعت أحد الشياطين ذوي الرتبة يلقي التعليمات على كبير معلمي السحر ويقول له ضمن تلك الإرشادات أن يحذر من تكرار تلك الحادثة الشنعاء، ولم أكن لأفهم معنى ذلك لولا أن أحد الوافدين الجدد الذي تمكن بفضل مهارته أن يبلغ منصب معاون لكبير السحرة فسأل الشيطان عن ماهية هذه الحادثة.. فغضب كبير المعلمين وأنبه على هذا السؤال، لكن الشيطان لم ير بأس في ذلك وأطلعه على الكارثة التي حلت بهم في وقت مضى، ألا وهي هروب نفر من المتعلمين.

فدهش لذلك المعاون لما سمعه ودهشت معه، فكيف رغم كل هذه الحراسات المشددة إلا أنه سجل في تاريخ الشياطين وصمة عار لا تنسى جعلتهم يكتمونها كأنهم ارتكبوا جريمة وأرادوا دفنها حتى لا يفضح أمرهم، لكن ما الذي يجعلهم يخشون تكرار تلك الحادثة رغم قوتهم وعظم بنيتهم فلما يخافوا بضعة أناسي؟ لقد كان العقل..، فالبشر يمتلكون هذه الميزة التي ليست لأحد غيرهم، تلك القوة التي تجعلهم يعوضون عن كل نقص موجود بهم عن طريق ابتكارهم للوسائل وغيرها من الحلول التي تمكنهم من انجاز متطلباتهم.

وهنا المتعلمين الراغبين بالهروب لديهم هدف يريدون إنجازه وهو الفرار، ولديهم ما يمكنهم من ذلك وهو العقل، وهذا ما

يهابه الشياطين فهم يدركون جيدا ما الذي يقدرون على فعله لو أنهم عزموا كلهم على النجاة لفعلوا ذلك، ولهذا دسوا بين كل مجموعة من يترصد أخبارها، وكانت الدسائس من المتعلمين الذين اجتازوا مرحلة التعلم وأصبحوا سحرة بحق، وكان هؤلاء تقدم لهم أول مهمة بعد قسمهم الولاء وهي التجسس، فقد كانوا هم الأنسب إلى ذلك بحيث يسهل تنكرهم واندماجهم.

وكانت إليزا هي من وكلت بهؤلاء الفتية، فقد كانت شابة في آية الجمال من يراها لا يعقل أنها ساحرة ومعاونة للشياطين، فوجهها البريء وصوتها العذب الرقيق وخجلها في التحدث وابتسامتها الطفولية وشعرها الذهبي الذي أفضى عليها صورة الملاك في هيئة بشر ورزانتها ولطافتها.. كل ذلك نفى أن تكون هذه الفتاة في السابعة عشر من عمرها فكيف لا ينفي عنها أن تشرب دم الموتى وتذبح الرضع وتضع طلاسم تضع طلاسم تكلف فيها الشياطين في أذية الناس..، حقا ما كانت تفعله كان فوق إرادتها، فيا لقسوة هذا المكان و يا لوحشية ما يفعلونه، وكيف يلعبون بقلوب الناس غير مبالين بما يشعرون به مستمتعين في ذلك كأنهم ينتشون وكل همهم هو إضلال الناس و إغوائهم و جعل الشحناء بينهم حتى لا يعيشيون حياة صافية هانية .

فقلوب البشر مفطورة على التآلف والمحبة و المعونة لولا وجود ما يضلها فتتأثر بذلك و تغوي ، لذا فعمل الشياطين هو تكدير صفوهم فهم لا يرضون أن يهلكوا في هذه الدنائس

بمفردهم ، بل يغبطون غيرهم ويجروهم إلى مستواهم . وهذا ما جعل إليزا تكن لهم الضغينة وتترقب أول فرصة لتنتقم منهم وكان من على حالها كثر، لكن م يميز الأمر معها هو أنها وقعت في مجموعة كانت تنوي كلها على الهرب وكانت إليزا حاذقة فطنة ذكية ماهر بالسحر وأسراره وكانت على قرابة من أن تكتشف ذلك السر الخطير.

والآن قبل أن أطلعكم على مجريات الأحداث وكيف بدأت عملية الهروب، سأسرد عليكم شيء من التفاصيل المتعلقة بكل فرد من المجموعة وكيف جاءوا بهم إلى هذا المكان وما كانوا عليه في عالمهم.

9.يوهان

تربى في قرية فقيرة فاسدة الأخلاق، لم يتلق التعليم ككثير من أبناء حيه، على عكس أبناء الأغنياء. فلقد كان يتيم الأم وأبوه سكّير، فعانى حرمان الأم وعطفها وحنانها وقاسى آلام الفقر وقسوة أبيه الذي كان كل همه هو اللهو والقمار وشرب الخمر، فكان إذا انعدم معه المال يضرب ابنه ويجبره على جلب المال له بأي طريقة كانت. فكان يلجأ إلى التسول وفي بعض الأحيان كان والده يرسله إلى الأغنياء ليشتغل في الأعمال الشاقة ولا يبالي له أكان معه ما يقتاته أم لا. فحين بلغ يوهان الرابعة عشر أخذ يجني المال عن طريق سرقة أولئك الأغنياء الذي كان يتحمل منهم آلام المشقة في العمل وجلدهم إياه وسبه، فكان هذا هو انتقامه منهم. وفي بعض الأحيان يتنمر على أبنائهم ليفرغ شحنته، ومرت سنتين وهو على هذه الحالة حتى ضاق ذرعا من أبيه وقسوته وسوء خصاله فهجره وقضى سنة يعيش بمفرده عرف فيها أمرا هيّج عاطفته وأعمت بصيرته.

لقد علم من أحد أقاربه سبب وفاة أمه، لقد أجبرها والده على العمل مباشرة بعد أن ولدت، فكانت آلام الولادة و مشقة العمل رغم مرضها وضعف بدنها وسوء صحتها إضافة إلى ضربه إياها.. كل ذلك أدى إلى ملاقاة حتفها.

فجعل هذا الأمر يوهان يستشاط غضبا ويقرر الانتقام لها ولنفسه من هذا الزوج الكريه والأب اللئيم، فسرق عربة يجرها حصان وجعل فيها بعض الأثاث وصناديق الخمر وذهب إلى منزل أبيه وجعل الأمر يبدو كأنه قدم له هدية، فرح الأب بها وسرّه ذلك وجعل يشرب حتى ثمل وغط في نوم عميق فقتله بهدوء ومزقه بعد ذلك، ثم وضع أجزاء جسده في الصناديق وأعادها إلى العربة وأخذه إلى غابة الجبل ليدفنه، وكان الليل قد حل فحفر له حفرة لا تشبه بتاتا القبر وكأنما سيلقي فيها نفاية، وبعدما أخرج جثته الممزقة والدم يلطخ جسمه كان حينها في المكان نفر من الشياطين مارين بقرابة منه، فسرهم ذلك المشهد وعزموا على أخذه واصطفائه، فبينما يوهان يلقي بالجثة حتى امتلأ المكان بالدخان ورأى عيون حمراء وأجسادا ضخمة تقترب منه ببطأ وضحكات شريرة مسرورة ثم أغمي عليه واستيقظ في عالم الشياطين مع أولئك الفتية وعلى تلك الأهوال.

10.زاراك

ترعرع في قرية فقيرة تقع داخل الغابة، كان يعيش هو وأخته التي تكبره سنا وأخوه الذي يصغره بست سنوات مع والديهم اللذين أحبوهم وأحسنوا إليهم وأجادوا رعايتهم، كانوا يعيشون في تلك القرية مع جيرانهم الذين بنفس أحوالهم حياة بسيطة

بدائية وهنية، إذ يقتاتون على ثمار الغابة وصيد البرية وصيد السمك من الأنهار وبعض الأعمال الفلاحية.

كانوا سالمين مطمئنين لا يعرفون للحروب أي معنى ولا للدمار والخراب، يتغنون بألحان الطبيعة ويلبسون من ورق الشجر وجلود فرائسهم والكل سواسية يحترمون بعضهم بعض بما تملي عليهم غرائزهم وتوحي إليهم فطرتهم السليمة بلا تكلف ولا أذية ولا مكر ولا خداع متساندون فيما بينهم ومتكافلون.. حقا كانوا الكل في واحد والواحد في الكل.

نشأ زاراك وأخوته على ما وجدوا عليه آبائهم وقومهم، وكان زاراك فضولي يحب الاستكشاف وكان شجاع مقدام يجيد الصيد وبارع في التسلق سريع التنقل، أما القوم فكانوا يرسمون حدود لمكان عيشهم إذ يحرمون تجاوزها باعتقادهم أن ذلك سيكون سببا في خرابهم وفنائهم وكان الفتيان يتعلمون ذلك من آبائهم حينما يبلغون أي بين الثانية والثالثة عشر من عمرهم، ولما بلغ زاراك أخبره أبوه عن ذلك فثار فضوله ولم يأبه للتحريم ولا للعواقب وقرر أن لابد من تجاوز تلك الحدود واستكشاف ما يحيط حولهم.

وفي بلوغه سن الخامسة عشر اكتس احترام قومه وكان محبوبا بينهم لما يتحلى به من حسن الخصال ولشجاعته ومحبته لقومه ووطنه، فحينها ظن أن آن له الأوان لينفذ ما كان قد عزم عليه من قبل وأخبر أهله أنه سيطول غيابه لبضعة أيام فلم يأبهوا لذلك ظانين أنه سينطلق للصيد كعادته، فاتخذ من جهة الغرب وجهته وانطلق، فما جاوز المكان الذي

يحرم تجاوزه وجد رمل ومساحة كبيرة من الماء به أمواج، لقد كان ذلك هو البحر لكنه لم يعرفه وظن أنه نهر غير منتهي قد غضب لسبب ما، فأصابه الفضول في الولوج إلى داخله ولما أقبل عليه وعند أول قطرة ماء أصابته بفعل اصطدام الموج في الحجارة وقف زاراك جامدا يحدق في الموجة التي يبلغ طولها ضعف طوله فأصابه الخوف رغم شجاعته وأحس بنوع من الشعور الغريب عليه فلم يعهد بمثل هذا الإحساس من قبل ولم يفهم ماهيته، لقد كان ذلك هو إحساس الضعف والعجز فلم يملك سوى أن يبقى واقفا مسمرا مذهولا ثم وفي لحظة ارتطام موجة أخرى فرّ هاربا إلى الغابة، فصعد على قمة شجرة وأخذ يراقب.

ومرت يومان ولا يزال البحر عل تلك الحال، فظن أنه فهم سبب تحريم القوم لبلوغ هذا المكان وعن أي هلاك كانوا يقصدونه ثم يأس من ذلك وعاد إلى أهله وقومه، وبعد مرور أيام على ذلك انطلق مع أبيه وأخيه وباقي قومه في رحلة صيد وكان أخيه في التاسعة وكانت تلك أول مرة يذهب فيها إلى الصيد، فأعدوا كمين لجاموس وفي أثناء وقوعه كان زاراك يراقب ذلك فسخر منه وقال لو أنه غير الاتجاه لنجى، فحينها راودته فكرة وتسائل أن ماذا لو اكتشف المكان في اتجاه آخر لربما يوجد مخرج ، فظن أنما قومه القدامى قد زاروا فقد ذلك المكان وحرموا بسببه كل الاتجاهات فعزم على استكشاف الشرق.

وانطلق مرة أخرى فرحا مسرورا راجيا أنه سينجح ولكن آماله اصطدمت مع أمواج شاطئ الشرق فتحطمت وحزن ودب اليأس فيه فعاد أدراجه وقرر أن يكمل استكشافه للاتجاهين الباقين ولكنه لم يعقد أية آمال وبالفعل وجدهما كسابقيها.

لقد كان في فصل الشتاء فمن الطبيعي أن يكون البحر كذلك وأنّ الماء الذي يحيط بهم من كل جهة لأنهم في جزيرة، لكنه لم يكن يعرف هذا وظن أنهم محجوزون بين أربعة أنهر غاضبة لا نهاية لها.

اشتد البرد وصار صعبا عليه الترحال فمكث في قريته شهور عدة إلى أن عاد للطبيعة جمالها ودفئها وخرجت كل أنواع الطيور والحيوانات تستقبل الربيع وهي مسرورة مغتبطة كأنها تحتفل لذلك، فاستعاد زاراك نشاطه وعزم على تفحص المكان مرة أخرى عسى أن يعثر على شيء ما، قرر أن لا يعود لقريته إلا بعد غياب طويل يمكنه من تفحص كل المنطقة بشكل دقيق، فاتخذ هذه المرة من جهة الشمال مكان انطلاقه وبدأ الترحال لما شارف الصيف على الحلول، فلما وصل انبهر لما رآه.. فقد وجد ذلك النهر هادئ وصافي يبعث بالسكون والراحة ويحثك على الخوض فيه، فلم يلبث حتى قفز إليه وأخذ يشق طريقه فيه حتى تعب وبعدها التفت خلفه ليعود أدراجه ولكنه سكن ذاهلا فقد تجلت له شكل الجزيرة وسّره ذلك، ثم طاف عليها بشكل دوراني حتى عاد إلى نفس المكان. فتعجب كيف للمكان الذي كان قبل أشهر

قليلة مخيفا صار مدعاة للسكينة، ثم أخذ يتردد على المكان بين الفينة والأخرى يراقب ويلاحظ التغيرات وكيف يصير تارة هائجا وأخرى صافيا،

ثم علم أن ذلك طبيعيا واعتاد على الأمر ولم يعد يخشاه حتى مرت بضعة أعوام..، ولما كاد يبلغ التاسعة عشر وفي أثناء زيارته لإحدى الشواطئ وجد عليه زورقا محطما متناثرة أجزائه ورجل ملقى جريح يظهر عليه أنه صارع الغرق فأسرع إليه وقام بإخراج الماء منه ووضع على جرحه بعض الأعشاب العلاجية واعتنى به حتى عادت إليه عافيته، ثم بنى له كوخا وصار يتردد عليه بين الفينة والأخرى، وبعد مرور عام صار كلا منهما يتحدث لغة الآخر وظن زاراك بالرجل خيرا. ثم ساعده على بناء قارب وودعه، ليعود ذاك الرجل بعد بضعة أشهر مع عدة سفن بها أناس لا يعرفون للإنسانية أي قيمة، يُعرَفون بمدعاة الحضارة وهم في الحقيقة دعاة الخراب، قلوبهم تنبض بالماديات فكل ما يهمهم هو الثراء والرخاء والخيرات ولا يشعرون إلا بأنفسهم، فيعتبرون سائر الخلق مجرد دواب سُخِرت لخدمتهم لا حق لهم في العيش، وكأنهم هم من أوجدوهم لهذه الغاية.

ولما وصلوا توجهوا إلى القرية بعد مكوثهم ليلة واحدة عند الشاطئ، ثم ما إن وصلوا حتى بدئوا في إضرام النار والقتل والنهب والأسر..، في تلك الأثناء كان زاراك الذي يبلغ العشرين راجع من إحدى الشواطئ ولما اقترب من القرية ذهل من الحريق الذي يصيبها وأخذ يسرع أشد ما يستطيع،

فلما وصل سكن شاخصا.، فالدم يملئ الأرجاء ورجال قومه مقتولون وجثة والديه ملقاة وأخوه وآخرون مختفون وذلك الرجل واثنين ممن معه فقط موجودون، فقد تخلفوا عن البقية حتى يتسنى لهم المزيد من التمتع والنهب..، وكان ذلك الرجل يغتصب في أخت زاراك ويكأنها بهيمة وزوجها ملقى جثة هامدة بجانبها وكانت معظم نساء القرية مختفين، ففي تلك اللحظة شعر زاراك بالخزي والعر بسبب عصيانه لقانون قريته وبالندم على مساعدته ذاك الرجل، فأحرق الغضب قلبه وأراد أن لو يعود بالزمن حتى يتجنب هذا الذي يراه الآن أو أن كان بوسعه لو يحطم هذا العالم بقبضته..، ثم لم يلبث حتى قضى على الرجلين اللذان كانا مع ذاك الرجل وتوجه إليه فأخذ يتفنن في قتله وتحطيم عظامه وتمزيق جلده حتى خارت قواه وأغمي عليه، ولما استيقظ ورأى وجوده في ذلك العالم وما يفعلون فيه عادت إليه الذاكرة ووجد الأمر شبيها بما حدث في قريته، فلولا اختلاف أجسادهم لظن أن من فعل ذلك في موطنه هم نفسهم من أسروه، فلا فرق بين الشياطين أيا كانت صفته.

11.نمير

حينما بلغ العشرين من عمره كان نمير في أشد حالاه بؤسا ويأسا، فقد كان وحده في الصحراء الشاسعة التي يبدوا فيها كحبة رمل مقارنة بها، كان في ظلمات الليل الشديدة التي حجبت لون بشرته البيضاء يتذكر مرارة ما حدث معه نادما على فعلته يتمنى أن لو يرجع به الزمن ليصحح خطأه، فعلى الرغم من أنه لم يتعمد ذلك الخطأ إلا أنه كان إثما ليس من السهل مسامحة نفسه عليه.، فلقد تجلت أنانيته التي كانت قابعة خلف عذر ظاهره نية حسنة وإنما باطنه رغبة ذاتية، وكل هذا راجع إلى حياته الشقية مع أمه الوحيدة التي هي أغلى ما يملك بعد وفاة أبيه في الصحراء التي نشأ بها وفيها أثم ومنها اختطف.

فلما بلغ نمير الثامنة توفي أبيه إثر حادث وكانت عائلته قد نفيت من القبيلة التي ينتموا إليها بسبب خلاف جرى بين والده وشيخ القبيلة الذي هو جده، وعليه فقد أصبحوا فقراء ثم

زاد ضيق عيشهم بعد وفاة أبيه فتولت أمه رعايته وكان ذلك شاقا عليها نظرا إلى بنيتها الضعيفة وقساوة البيئة ، وبالرغم من ذلك ناضلت بتوفير قوتها وقوت ابنها الوحيد.، وكان هذا الأمر يؤلم نمير الذي عزم على مساعدتها ورفع المشقة عنها حينما يكبر، وبالفعل لما بلغ الخامسة عشر وأصبح فتي صار هو من يرعى أغلب شؤونهما وسعدت أمه بذلك إلا أن نمير لم يرض بهذا الأمر، بل طمح إلى المزيد وصوب بين عينيه معيشة الرفاهية له ولأمه..، فلقد كان له ما يؤهله لذلك فهو فتى شجاع وذكي وحفيد شيخ قبيلته فهو الوريث إذا، بدأ نمير يفكر في كيفية وصوله إلى الزعامة فرأى أن لابد من نيل رضى جده وقبوله بين أهل قبيلته فكان سبب طرد أهله يشكل عائقا له لذلك فكان كثيرا ما يلح على أمه لمعرفة ذلك، لكنها كانت تتجنب ذلك مخافة أن تزرع الحقد في قلبه على جده.

حينما بلغ نمير الثامنة عشر ذهب إلى القبيلة والتقى بجده الذي عرفه فور رأيته فقد كان شبيها بابنه تماما، فاستقبله وسأله عن حاجته فأخبره أن أباه توفي منذ عشر سنين وأنه يقاسي الحياة بمفرده مع أمه وأنه أتى فقط لرؤية جده وأهله فقد حن لهم ويريد العودة هو وأمه للعيش بينه، فقبل جده ذلك بشرط أن يتزوج ابنة أحد السادة فسره ذلك عن جهل وقبل بالعرض لكنه لم يخبر أمه بذلك بسبب شيء في نفسه ضيّق عليه أمر إخبارها، وبعد ما تم هذا الزواج المصلحي الذي كان هو السبب في نفي والديه فيما مضى ها هو الآن يضيع بمهب الريح وتذهب تضحية أبيه سدى لأجل عرض حياة

الدنيا، فهذا الزواج قوى العلاقة مع أحد الشيوخ الذي كان يهدد مكانة جده فأصلح نمير ذلك من خلال رابطة النسب وصار سيدا من السادة له دور في تسيير الشؤون، فمع انشغالاته هذه أصبح يتخلف عن رؤية أمه لفترة طويلة من الزمن ثم يعود إليها محمّل بالنعم الكثيرة فما يسرها من ذلك سوى النظر إلى وجه ابنها المشتاقة إليه، فيخبرها أنه منهمك في التجارة وأنه يعمل على تحسين أوضاعهما وتخبره أنها يكفيها القوت البسيط ما دام بجوارها، فلا ينصت لذلك حتى مرت سنتان تدهورت فيها حالتها ورزق بابن. فظن أنّ ذلك سيسعدها ويجعلها ترغب في العودة إلى القبيلة، ولكنه زاد على الطين بلة.

فلما أخذ زوجته وابنه إليها وأخبرها ما حدث صعقت فورا وسقطت مغشيا عليها ففزع فزعا شديدا حتى استيقظت فتنفس الصعداء، وحينئذ أخبرته أن هذه الفتاة التي تزوجها إنما هي أخته من الرضاعة وأنّما جده قد قرر تزويجهما منذ الصغر بغية تعزيز سلطته ونفوذه وهو الأمر الذي نفوا بسببه، ثم ما لبثت حتى توفت وبقيت زوجته مذهولة لما حصل، أما هو فاحمّر غضبا من جده وحزن لموت أمه وآلمه أن زوجته هي أخته... فاختلطت عليه كل الأحاسيس في آن واحد فلم يدري ماذا يفعل، إلاّ أنه تحرك بغير رغبة منه يمشي تائها في الصحراء واليأس يأكل قلبه... ثم جثى على ركبتيه شاخصا محطما كتحطم الزجاج في شذرات لا يجمع من شتاته شيئا، ولا زال على تلك الحال حتى اختُطِف.

12.سوزان

جلست كما عادتها أن تفعل على جانب شرفة غرفتها العلوية وهي تسرح بخيالها مبتسمة وتداعب بأصابعها شعرها الأشقر في اطمئنان، وكانت حسناء يُسر النظر إليها فهي فتاة في الثامنة عشر من عمرها.. هكذا كانت سوزان وحيدة والديها

المدللة عندهما، وكانت إن أمكن القول معزولة عن الناس والعالم الخارجي إلاّ من صديقة طفولتها نتاشا التي قضت معها كلا من مرحلة اللعب حتى مرحلة التعليم إلى أن بلغا العمر الذي عليهما الآن فقد كانت جارتها، وكانت سوزان تغار منها لأنه كان لها إخوة بينما كانت هي وحيدة، ولأنها كانت أكثر حرية منها بينما هي كانت تشعر أنها محبوسة والديها لا مدللة ولا أميرة، وحتى نتاشا كانت هي الأخرى تغار من سوزان، فقد كانت تتمنى لو أنها تملك والدين مثل والديها يعززانها وينعما عليها كما كانت تتنعم سوزان بدل والديها اللذان يسوءان معاملتها ومعاملة إخوتها، كما أنها كانت تحسد جمالها وذكائها الفطن.، والتي في الحقيقة لم تكن كذلك، فلو أنها حقا كانت فطنة ومنتبهة لما حدث معها ما حدث وما كانت اختطفت ولا ندمت، ولكنها كانت طائشة.

فذات يوم قدمت نتاشا مع حبيبها إلى بيت سوزان لتعرفه على صديقة طفولتها المقربة إليها وعلى أسرتها، وهنا كان مبدأ المأساة.

فقد كانت النية الحقيقية من وراء قدوم نتاشا هي إغاظة سوزان فأخيرا أمكنها أن تتفاخر عليها، وكان حبيبها شاب وسيم عليه مظهر الاحترام والوقار، فأغاض هذا الأمر سوزان حقا فتمنت أن لو كانت حرة طليقة وأن لو كان لها حبيب يهتم بها ويغازلها فقد كانت بحاجة إلى مثل هذا المشاعر نتيجة لبيئتها.

لكن فيدور كان يحب نتاشا رغم بلادتها وقلة جمالها فقد كان يجد فيها إحساس بالأمان وكذلك هي كان شعورها مثله، أما سوزان فلم تأبه لهذا كله فقد رأت أنه لابأس إن أخذت فيدور منها لأنها حرة وبإمكانها إيجاد غيره.

فبعد فترة وجيزة أقنعت والديها بالسماح لها أن تخرج للتنزه رفقة نتاشا وكذلك أقنعت نتاشا بإحضار فيدور، وأثناء تنزههم عملت على إغواء فيدور وتركت له رسالة تصارحه فيها عن مشاعرها لكنها كذبت فيها، إذ أنها أخبرته بأن نتاشا غير مهتمة لأمره وأنها على علاقة بالكثير من الشبان..، لقد كانت نتاشا اجتماعية ودودة مع الكل وكان ذلك ما زاد في ارتيابه، فحقا كانت تتجاهله في بعض الأحيان، فاندفع إلى الشك فيها وصار يتدقق في كل أمورها حتى انخنقت منه وتفاقمت الأوضاع بينهما حتى لم يعد أي منهما يتحمل الآخر وأدى هذا إلى انفصالهما.

والحقيقة هي أنها كانت تعاني من المرض ومن مشاكل أسرتها ثم الأمر الذي زاد عليها هو معرفتها بأن فيدور صار حبيبا لسوزان، لم تستطع نتاشا تحمل كل هذا إلى أن انهارت ولم تجد من يدفع لها تكلفة العلاج، فراحت تتوسل فيدور ببعض المال لكنه رفض ظنا منه أنها تستغله فقط لأنه ثري وأخبرها بأن تذهب وتطلب من الشبان الآخرين.، فزاد هذا الأمر من معانتها وشدة مرضها فتوفيت إثر ذلك بسكتة قلبية فقد كانت تعاني من ضعف القلب.

وبعد وفاتها وفوات الأوان علمت سوزان بما كانت تمر به صديقتها فندمت على ذلك أشد الندم، فكيف لصديقتها الوحيدة التي كان من المفروض عليها أن تساندها وتقف بجانبها إذ بها تتركها وحيدة، بل وأن تزيد من معانتها ؟ لقد أحست بأنها هي من قتلتها، فعلى الرغم من فطنتها إلا أنها عجزت عن رؤية صديقة طفولتها، فنتاشا كانت دائمة التبسم والنشاط رغم كل ما تمر به.

فسوزان شعرت أنها لو لم تفسد الأمر بينها وبين فيدور لكان باستطاعتها العلاج والنجاة ولكنها بكل حمق أعماها الحسد وساعدت صديقتها على ملاقة حتفها.

لم تستطع سوزان تحمل كل هذا الندم والألم فذهبت إلى جبل أسفله بحر وألقت نفسها فيه، فما كادت ترتطم حتى اختطفت فظنت في بادئ الأمر أنها توفيت وهي في الجحيم عندما رأت ما يجري من حولها ولكنها كانت في جحيم آخر غير الذي ظنته.

13.أسامة

بدأ أسامة العمل مع أبيه في الصيد البحري مذ كان في الثالثة عشر من عمره، فأصبح بذلك صديقا حميما للبحر وعرف أسراره وكيفية التعامل مع تقلباته كما فتن بجماله...، لقد أحب البحر ولم من السهل عليه مفارقته فلا يمضي يوما دون أن يبحر.

ولما بلغ السابعة عشر واشتدت بنيته صار خليفة أبيه ولكنه كان خِلافا عليه يمتلك روح المغامرة، فالصيد لم يكفي حاجته مما تستهويه نفسه بل كان يحب أن يستكشف ويبحر لأقصى ما يمكنه، وكان كلما سنحت له الفرصة يخوض في البحر يتعمق في أسراره وذلك خلسة عن أبيه، ولكن هذا الأخير كان على علم بذلك فقد وشى به مجموعة من الصيادين الجبناء الذين حسدوه على شجاعته وعلى روح المغامرة التي فيه فكانوا دائما يعملون على زرع الفتنة بينهما.

إلا أن أسامة قد استفاد كثيرا من جولاته تلك، فقد تعلم أمور شتى من مراقبته للبحر وملاحظة ما يتغير فيه، كما أنه استكشف جزر أخرى لم يكن يعرف عنها هو ولا قومه شيئا، واصطاد كذلك أصناف أخرى من السمك لم يعهدوا بمثلها قط.، ولكنه خشي أن يطلع أباه وقومه عليها خوفا من ردة فعلهم اللئيمة.

وحين صار في الثامنة عشر ما عاد زورق أبيه يتحمل رحلاته فانتبه أبوه إلى هذا الأمر فعزله عن ركوب البحر مجددا فكان هذا بمثابة الطعنة في صدره.، لقد قتل طموحه وحطم روحه فصار كالأموات بين الأحياء وزادته سخرية قومه وسعيهم في الفتنة بين وبين أبيه إيلاما، فجعل يلعن بيئته هذه وقرر في لحظة غضب هجر قومه ولم يلاحظ اضطراب الجو فسرق زورقا وأقبل على البحر مسرعا فيه حتى بلغ منه بعدا لا يصل إليه أحد ولا يُرى منه شيئا، فقد أحاط به الضباب من كل صوب حينها انتبه أسامة إلى المأزق الذي وقع به وكان قد سكن عنه الغضب وظن أنه هالك لا محالة لأنه دخل قلب عاصفة دوامتها تبتلع أي شيء بها، فما كان منه سوى أن يندب تسرعه ويحن إلى أبيه ويلعن عقلية قومه الجامدة حتى ضربت به العاصفة في أعماق البحر وألقت به في عالم الشياطين.

14.بيير

ترعرع بيير في غابة بالقرب من بحيرة منظرها غاية في الجمال، إذ كان بها قناة توصلها بالبحر وكانت المياه تغمر قاع الأشجار وكانت هذه المياه تنحبس في وسط الغابة، وهناك حيث الأرض يابسة توجد قبيلة بيير، وهي قبيلة بسيطة تحكمها عادات وعرف توارثوها عن من قبلهم، ويرأسهم زعيم القبيلة مهمته أن يفصل في قضايا قومه وإيجاد الحلول لما يعتريهم من مشاكل غير مألوفة.

كان بيير منعزل عن قومه عند البحيرة فقد آلفها بكل ما فيها من نبات وحيوان حتى صار جزء منهم وصارت الوحوش تطمأن إليه فلا هو يؤذيهم ولا يتأذى منهم، وكان أكثر ما يهواه هو جلوسه على قمة بالغابة والتلذذ بمنظر البحيرة وهي مرتبطة بالبحر.

كانت هكذا حياته إلى غاية موت أبيه فحينها استلم زعامة القبيلة خلفا له وصُنعت له عصى مزركشة بالريش كما جرت عادتهم فقد كانت كالتاج بالنسبة للملك، لكن الفرق بين الأمرين هو أن يدفنوا عصى كل زعيم مع جثته وتعاد صناعة أخرى للذي يليه.

ثم ما لبثوا أن ينتهوا من الحزن على والد بيير حتى بدأوا في الاحتفال بعرس ابنه، وبعد فترة حنّ بيير إلى مكان نشأته فغادر قومه متجها نحو البحيرة فانزعج قومه من هذا الأمر وأفقدهم ثقتهم به.

وما إن وصل حتى رحبت به الحيوانات وغنت له الطيور وطربت الأشجار.. فبينما هو كذلك لعدة أيام يتجول في الأرجاء إذ برجل أبيض متوسط القامة يلمح بـ بيير الضخم المفتول العضلات الأحمر البشرة الطويل القامة، فأراد أن يصطاده وصوب ببندقيته نحوه فلما أطلق الرصاص أخطئه بفضل أحد الحيوانات قفز على هذا الرجل ولكنّ الرصاصة أصابت إحدى الطيور فطرحتها ميتة، فلما لاحظ ذلك بيير أدرك سوء نية هذا الرجل وخطر هذا السلاح الذي بحوزته.

خشي بيير من أن يسبب هذا الرجل أذى لقومه فآسره وأخذ به إلى قومه ولما وصل وقص عليهم ما جرى أخبروه أنما ذلك سوء فهم وإنما كان هذا الرجل مفزوعا فأراد أن يحمي نفسه فلا يجب أسره على هذا الأمر بل من اللازم عليهم استضافته كما استضاف أسلافهم الرجل الغريب الذي قدم إليهم أول مرة، لكن بيير جادلهم في الأمر وأخبرهم أنه ليس بالضرورة أن يكون طيبا كما كان الذي قبله وأنه ليس لزاما أن يُكرم، فأثار بهذا الجدل سخط قومه عليه ونقمتهم فاتهموه بأنه تمرد على قانون القبيلة وعلى عرفهم فلا يجب أن يكون رجل مثله زعيم على القبيلة فهو غير مبالي بها.

انفطر قلب بيير لما سمع كل هذا وكان شديد الخوف على قومه من أن يلحقهم أذى، ولكن هيهات أن يطّلعوا على ما في قلبه.، فانصرفوا عنه وأكرموا الغريب وأحسنوا ضيافته وأعطوه من الذهب ما حرك جشعه واستوجب
بطشه، وبالرغم من اختلاف ألسنتهم إلا أنهم استطاعوا تلبية طلبه في توفير قارب له، فجهزوا له واحدا وملأوه ذهبا ومؤونة لينصرف عنهم عائدا إليهم مليئا بالجنود، فأخذوا يُقتِلوا وينهبوا حتى شبعت غرائزهم العدوانية واستولوا على الأرض وما فيها، وبينما كان بيير ملقى على الأرض ملطخ بدمائه مشرفا على الموت وهو يتأمل ضحايا قومه وألسنة النار تأكل كل ما حوله حتى دخل في دوامة من اليأس والندم وتمنى أن لو يعود به الأمر إلى أول لقاء مع الغريب فقتله عوضا عن أسره، ولكن هيهات لبّ الزمان طلبه وإنما تقدم

به بعد أن أغمي عليه لنجيه عن باقي الضحايا في عالم يشبه عالم أولئك الذين قدموا إلى أرضه.

15.ألفونس

كان ينحدر ألفونس من سلالة نبيلة وكان شابا ذكي فاحش الثراء ولكن طباعه كانت ذميمة كون أنه ترعرع في قصر تعلم فيه خصال السادة، فقد كان مذ صغره يأمر وينهى يجازي ويعاقب.. فنمت فيه بذور الأنانية التي جعلت منه شخصا متكبرا وقتلت فيه مشاعر الإنسانية وكل ما هو أخلاقي.

هكذا كانت طبائعه حتى التقى بميريانا..، تلك الفتاة التي أيقظته من غفلته وأحيت قلبه، كانت ميريانا جميلة بكل ما تحمله الكلمة من معنى فشعرها الناعم وثغرها الحلو وتفاصيل ملامح وجهها كانت دقيقة ويكأنها رسمت على لوحة.

ذات ليلة حضر ألفونس لإحدى الحفلات وهناك حيث رآها فانجذب إليها مثله مثل باقي الحضور في الحفل فقذ كانت ميريانا محط أنظار الكل فحتى النساء حسدنها على جمالها وغِرنَ منها فلا لوم إذا عليه إذ أسرت قلبه.، وبعد انتهائها من العزف على البيانو أخذ كل الرجال يحومون عليها ويلتمسون السبيل للتحدث إليها، لكن لا أحد منهم تحلى بالشجاعة في طلبها، إلاّ أنّ تقدم نحوها ومد يده ثم انحنى لها انحناء السادة الكبار وسّر هذا ميريانا فمدت هي الأخرى يدها إلى يده وقبلها باحترام ووقار ثم ذهبا إلى شرفة قاعة الحفلة

وسط ذهول الحاضرين وأخذا يتحدثان ويتعارفان، حتى مر عليهما الوقت الطويل كأنه بضع لحظات قيدتهما في حيز صنع خصيصا لهما ووضعهما في حلم حلو لا تريد طعمه أن يفارق ريقك إلى أن حقا أفاقوا على ضجيج مغادرة الجمع القاعة حين انتهى الحفل وبزوغ الفجر.

راح ألفونس إلى قصره كأنه سكير وهو لم يشرب وإنما لذة ما شعر به مع ميريانا أذهبت بعقله، لقد ملكت قلبه المسكين وآسرته،

أما هي فنسيَت ما جرى بمجرد أن تودّعا.، ميريانا هذه مهما على شأنها عند ألفونس إلاّ أنّ حقيقة أمرها أنها تنتمي إلى طبقة متوسطة، فقد كانت ساخطة على وضعها بل حتى على الذي قدّر لها هذه المعيشة، كان لسان حالها دوما يردد هذه العبارات " ماذا كان سيحدث لهذا العالم لو أني ولدت في طبقة نبيلة ؟" لهذا فقد استغلت جمالها ولطفها المتصنع حتى تصاحب الطبقة النبيلة.. لا لأجل شيء غير إشباع شعور السيادة والتكبر بالمكانة، فقد كانت تصل لذروة المتعة حين تبدي غرورها وتنتشي حينما تزدري غيرها.، أما ألفونس الذي بدأ يغرم بها فقد أصبح بمثابة صيدها الثمين أو بعبارة أخرى كان كالدمية التي يتسلى بها الصبيان حتى يشبعوا نزواتهم الأنانية المتمثلة في اللهو واللعب دون حسبان للعواقب.

وبعد فترة وجيزة تجدد لقائهما في حفل آخر نظمه ألفونس خصيصا لها فغمرته السعادة تلك الليلة حتى أنه شعر أنما السعادة خلقت له وعرض عليها الالتقاء من حين إلى آخر فوافقت ميريانا على هذا الطلب، وكانت في كل لقاء تظهر من اللطافة واللباقة ما حرك قلبه وجعله ينشق لتدخل إليه الرحمة والرأفة وانقلب حاله إلى غير حال، فألفونس الفتى الشرس أصبح طيب يحسن إلى غيره وصار ينظر إلى هذا العالم نظرة تفاؤل وأمل بعدما كان مشمئز منه وساخطا عليه، لقد تغير حتى خُيل إلى من حوله أنه قد جن أو سكن جسده روح غير روحه..، على كل حال فقد فرحوا وتمنوا دوام هذا الحال عليه فقد تعبوا منه بسبب ما كان عليه من قبل.

لكن للأسف رغم أنه كان فطن إلاّ أنه لم يدرك حقيقة ميريانا بل زادته فطنته غرورا وظنّ أنه يعرفها حق المعرفة وأنها تبادره شعور المحبة وأنّما تلك التحذيرات التي تلقاها من بعض المقربين إليه إنما هي أقوال الحاسدين الذين يظهرون الخير ويخفون الشر والمكر والذين يستعملون النصيحة كباب إلى الفتنة والوسوسة، وهكذا وقع في شباكها مطمئن بعدم سقوطه.

وبعد مضي بضعة أشهر أصاب ميرينا الملل منه فصارت تتجنبه وأصبح يتألم لذلك أشد ألم ولا يتوقف ألمه إلا إذا كانت معه واستجابت لندائه، صارت إذا كالمخدر بالنسبة له لابد له من جرعة منها، فقد أصبح يريدها ليس لحبا فيها وإنما حتى

يسكن عنه الألم وبالتالي فقد أصبحت غاية والغاية تبرر الوسيلة، صار يتدلل لها لتلاقيه وتحاكيه حتى انجرح كبريائه وحزن حتى قنط وفقد لذة الحياة، يرى الدنيا كما يراها الكفيف رغم وجود الضوء فيها إلا أنها ظلام حالك، لم يعد يبالي بشيء وكل همه أن تكف ميريانا عن حماقتها حتى تعود إليه روحه، فما بقي معه إلا أن يتزوجها فعرض عليها ذلك لتنطلق عليه ضاحكة مستهترة بعد أن رفضته بسخرية، وراحت تحدث كل من حوله عن مدى عزتها وشأنها وكيف حتى ألفونس الذي شُهر بقسوته جثى لها باكيا ذليلا على ركبته يتوسل إليها، فلما سمع بما حدّثت به وكيف أنه صار محط سخرية ندم كل الندم على الثقة بها وعن فتح قلبه لغيره وعن الحنان والرأفة ، رأى أن الناس مجموعة حثالة تزيف صورتها وتتنافق فيما بينها حتى يتسنى لها تلبية مصالحها.

لكن الندم الآن لم ينفعه في شيء وإنما كان له بمثابة القطرة التي تفيض الكأس، فانقادت نفسه نحو الاكتئاب خاصة حينما لم يجد أحد ممن أحسن إليه بجواره ليواسيه واندفع إلى الانتحار ليُخلِص نفسه من هذا العالم البائس الذي هو أشد قسوة من قساوة ألفونس، فأغلق على نفسه في كوخ تبن وأوقد نفسه فيها ولما اخمدت النيران لم يجدوا أثر لجثته وظنوا أنما احترق وصار رمادا، ولكنه في الحقيقة بقي سليم الجسد مريض القلب في علم آخر لا يقل قسوة عن الذي كان فيه.

16.مروى

ولدت هذه الفتاة من أم تعمل لدى أسرة غنية، فقد حكمت عليها الدنيا إذا بالعبودية بمجرد قدومها لهاذه الحياة فلو أنها كانت بنت لغير هذه الأم لكانت فتاة غير هذه، ولكن شاءت الأقدار أن تكون هكذا. ولم تتوقف مأساتها عند هذا وحسب

بل وأصابها العمى عندما كانت في سن الثالثة حينما دفعتها ابنة ربة المنزل فاصطدمت بقوة على الأرض ودخلت الحصى إلى عينيها فأذهبت بقدرتها عن رؤية هذا العالم المرير ولكن بقيت لها بصيرتها لتسموا بفضائلها عن كثير ممن ينظرون بأعينهم وعمي بقلوبهم، لم يكن أحد يعلم بهذه الواقعة فالكل ظن أنها مجرد حادثة وبالتالي أعرضت الأسرة عن تحمل تكلفة العلاج لا لأجل قيمتها المادية أو شيء من هذا القبيل، وإنما فقط لأنها رأت أنه ما من داعي إلى ذلك فليست هي المسؤولة عن حادثتها، أوليست الإنسانية وحدها كافية ؟ فيا للقسوة، وعلى ذكر هذه الأخيرة فيمكن تخيل ما مدى معاناة الخادمة حينما تنظف أربعة طوابق لوحدها يوميا ثم تقوم بغسل كل شيء يرمى إليها في حجرة الغسيل لتذهب بعدها وتعد ما لذّ وطاب من الأكل وأحيانا تطبخ عدة أُكلات بحسب نزوات أفراد الأسرة، ومع كل هذا تقوم هي بالتسوق فتتحمل المسكينة ما فوق طاقتها فقط كفاحا مع الحياة لأجل ابنتها فتظل تكدح من شروق الشمس إلى غروبها مقابل إقامتها في زرداب المنزل ومقابل أكلها من فضلات طعامهم وبضع القطع النقدية التي لا تصل إلى ما تحصل عليه ابنتهم الصغرى ذات الخمس سنوات تلك التي دفعت مروى.

والغريب أنه لما ولدت مروى وصارت هي الأخرى تأكل من بقايا الطعام تم إنقاص مبلغ من تلك القطع بحجة أنّ عدد المستهلكين زاد ولكن لم يتم الزيادة حينما مات زوجها وصارت هي من تقوم بعمله، فأي منطق هذا ؟ ورغم كل

هذا إلاّ أنّ هذه الأم الشقية لم تنس مطلقا إنسانيتها ولا الفضائل الحميدة، بل وقد ربت مروى عليها وحثتها على التمسك بها وغرست فيها بذرة الصبر التي لابد وأن تتفتح على حياتها يوما ما وتزهر مستقبلها.

وهكذا بدأت تكبر هذه الطفلة الذميمة الخِلقة الكفيفة على خصال تجذب إليها كل من حولها وهذا ما جعل هذه الأسرة تبغضها بكثرة خاصة تلك الفتاة التي كانت سببا في فقدانها البصر، لأن مروى كانت مقربة إلى صديقة أمها عوضا عنها وكانت هذه الصديقة أعلى شأنا وأكثر نفوذا، فكانت دائمة التعلق بمروى تحسن إليها وتغمرها بالهدايا خاصة منها الملابس والحلي حتى صارت لتبدو سيدة لا خادمة ابنة خادمة، فحسدتها وأخذت تكيد لها الكيد ولا زالت بها حتى جردتها من ملابسها الأنيقة وتركتها ببضع ما يستر عورتها بحجة أنها توحي للزائرين كفرد من أفراد الأسرة فهذا لا يليق بالخادمة، وبهذه الحجة الواهية جعلت من جسدها الرقيق يتعرض للسعات البرد الشديد حتى وهنت وانجرحت رئتيها، ثم لا زالت بها حتى حرمتها من رؤية صديقة أمها، وحينما كانت هذه الصديقة تسأل عنها يخبروها بأنها مشغولة بأمر ما وأحيانا كان يسمح لها برؤيتها وتفعل ذلك بهيئة حسنة حتى لا تساورها الشكوك.

على الرغم من كل هذه الاساءات إلى أنها لم تكن هي من جعلت مروى تفقد صبرها وتسلك قرار كاد ليسوء بها أشد مما تمر به.

بعدما بلغت مروى السادسة عشر قدّمت لها تلك الصديقة عرض زواج من شاب ذو مكانة كان قد عرف كل شيء عن مروى من قِبل هذه الصديقة فأغرم بخصالها عوض عن مفاتنها وأرادها زوج له، وهذا الطلب كان بمثابة الضربة القاضية بالنسبة للفتاة الغيورة لأنها كانت منبوذة من طرف الكل حتى من والديها، وكيف لا وهي المتعجرفة المتملكة الأنانية، فلم يكن لها خيار غير أن تبطل هذه الخطبة وأن تحطم مروى من خلال تشويه صورتها.

وهكذا راحت تحيك لها خطة تنفذ فيها نواياها، فدعت أحد معارفها وعرّفته بمروى وأخذت توطد العلاقة بينهما وتزين مروى في نفس الشاب الذي جاءت به ومروى المسكينة على سجيتها الساذجة لا تفقه شيء مما يحدث معها إلى أن حدثت المأساة في تلك الليلة التي دعت فيها الشاب الذي أراد خطبتها وقادته إلى غرفة كانت فيها مروى تريد أن تغير ملابسها تلبية لطلب سيدتها، ولإنها كانت كفيفة فلم تلحظ وجود الشاب الذي أحظرته سيدتها لها وهو عارٍ بناءا على ما قالته تلك اللعينة من قول سوء، وهكذا اصطدم الشاب الذي قدم لخطبتها مفتتنا بخلقها على هذا الموقف فاشمئز منها لسوء ظنه وغادر مسرعا منصدما فقد تحطمت كل آماله، ولو أنه بقي لبعض الوقت لرأى أنها بريئة حينما دفعت هذا القذر بكل قوتها أثناء تعرضه لها وأطلقت صرختها مستنجدة فلم تلق حولها من ينقذها وراحت ضحية اغتصاب أذهبت بعذريتها وأذهبت بحياتها، فوقعت في شبكة الذنب وأخذ قلبها

يتآكل بالحقد الذي أعمى بصيرتها وأفاض كأس صبرها فرأت أن لابد من مغادرة هذا البيت الذي أذهب بحياة أبيها وأشقى أمها والذي سلب لها مستقبلها وأنوثتها وكاد ينتزع انسانيتها.

غادرت تاركة رسالة توضح فيها كل ما جرى معها بداية من حادثة عميها نهاية بآخر ما حيك لها، غادرت وهي متأسفة على أمها باكية حزنا عليها واشتياقا لها ، ولم تنس مطلقا شكر تلك الصديقة التي كانت الوحيدة الرؤوفة بها غير أمها متعذرة لتخييب ظنها، غادرت المسكينة ولا تعرف لها أي وجهة في تلك الليلة الظلماء بقدر ظلام عينيها العاجزة عن ملامسة النور.، فسلكت زقاق لا تعرف مأخذه غير أنّ في نيتها إيجاد مأوى يأويها تُقدم ويُقدم فيها المساعدة، إلا أنّ الحظ السيء هو فقط ما قدر لها في تلك الليلة ، فبعد تلك الواقعة المشؤومة تقع أيضا ضحية للأيادي العابثة فاختطفوها قاصدين استعمالها كبغيّ تجني لهم المال، وفي أثناء نقلها بعدما بلغوا بها مكان مرتفع من الجبل انجرف بهم التراب فهلكوا وبقيت هي في غير هذا العالم.

17.سارة

بعدما أنهت وحيدة والديها الدراسة تزوجت من الرجل الذي أحبته والذي ظنّت أنه متيم بها ولكن للأسف فمرور الوقت أثبت عكس ذلك، فهذا الرجل لم يتزوج بسارة إلاّ لأنه سُحِر بجمالها الفاتن الأخّاذ، والحق يقال أنه لا أحد يمكن أن يلومه على ذلك فأي رجل كان سيتمن جمالها وهذا أمر عادي، ولكن ما ليس هو عادي والذي يلام عليه هو أن يتخذ من الجمال المعيار الوحيد للزواج وكأنما هو أمر ثابت مطلق، أولم يفكر أنّها ربما قد تتعرض لحادث ؟ أو أن تصاب بمرض ؟ أو حتى ولم يصبها أي شيء فإن كبر السن لا يبقي

على جمال الصبى، ولكن عميّ قلبه وضلت بصيرته وحدث الذي حدث.

فبعد الزواج ومضي عامين لم تنجب المسكينة فحزنت لذلك أشد الحزن ولم يسعها أن تفعل شيء فالأمر ليس بيدها، إلاّ أنّ أم زوجها ضاق بها الأمر ولم تنصاع للطب وفعاليته، بل جمدت عقلها على ما شبّت عليه من عادات وتقاليد..، وهكذا أخذت بيد سارة تبحث لها عن الحلول فلم تترك لها شيء من الأعشاب إلاّ وناولتها إياه كأنها أنبوب زجاجي تختبر فيها التجارب، والأخطر من هذا أنها أخذتها إلى عرّافة شمطاء خبيثة فاستغلتها أجمل استغلال حتى نهت لها جُل أموالها ودفعتها إلى دين لا يطاق سداده، فكانت في كل مرة تعرض عليها خِلطة توهمها أنها مكونة من أعشاب نادرة وباهظة الثمن يصعب العثور عليها وأحيانا تعرض عليها أنواعا من الأبخرة.. حتى تعرضت لمرض في بطنها سبَّبَ لها الانتفاخ دفع بأم زوجها تظن أنه حمل، وأنّما الآلام التي تساورها إنما هي أعراض الحمل فلا حاجة إلى الطبيب وعرّضتها للراحة مما زاد الطين بلة، فقد تشكل لها ورم يلزمه استئصال في أقرب وقت وإلا فإنه فاتك لحياتها لا محالة، كان كل هذا يحدث معها ولا أحد يصدقها بل يخبرونها أنها مجرد واهمة ومجنونة، حتى أهلها أخبروها بأن تتحمل بعض الشيء فتأخر حملها هو ما يسبب آلامها..، وماذا كان عليهم لو أخذوها للطبيب حتى يثبت لهم ظنونهم ويزال عنها الشك ؟ ولكن لا حياة لمن تنادي.

وبعد أن آيست المسكينة منهم تدبرت أمرها حتى فرت منهم متوجهة لتلقي العلاج وهناك تم استئصال الورم وزال عنها الألم وأدركت بأنها ليست حامل وكذلك ليست بعاقر، وبهذا فإنما الخلل في زوجها وأنه هو من يلزمه العلاج.

ولما عادت لبيت زوجها وأخبرتهم بالأمر نقمت منها حماها وتهمتها بأنها أسقطت الجنين فقط لأنها لا تطيق الألم وبالتالي فهي زوجة أنانية غير صالحة لأن تكون أما، فأخبرت ابنها بأن يطلقها ففعل ذلك بكل أريحية وسرور، لأن هذا الخبيث قد ملّ منها.. لاسيما وقد تراءت له امرأة أخرى أقل منها سنا وأبلغ منها جمالا، ففي أيام محنتها لم تجده بتاتا عونا لها بل كان لاهيا عنها مع غيرها، ولما سمع كذلك أنه هو من عليه العلاج استنكر الأمر واستكبره كما لو أنّ سبب عدم الولادة حكر على النساء فقط.

وبهذا وجدت نفسها مطلقة ذاهبة إلى بيت أهلها ويالهم من أهل، فوآسفاه عيها، بمجرد ما أخبرتهم عمّا حصل معها حتى صاحوا فيها أن جلبتي العار لنا وبأنك لا تصلحي أن تنتمي لنا بعد الآن فغادري في الحال وتبرؤوا منها.

كانت هذه الجرعة الأخيرة من الاضطهاد والألم بمثابة الضربة القاضية لها، فانهارت نفسها كلها وتجمد تفكيرها وقامت بغير أن تنبس بشفة مغادرة لا تدري إلى مَن وأين تلجأ؟ ، فأخذت تسير بغير توقف حتى جنّ الليل عليها بمقبرة

نامت فيها ومن هناك استيقظت على ضجيج مقبرة أسوأ منها.

18.جون وتيريزا

في شمال الأرض بمنطقة منعزلة وشديدة البرودة، هناك كانت تقع دار أيتام خصيصة ليتامى الحروب حيث نشأ فيها الأخوين جون وتيريزا.

كانت هذه الدار تابعة للحكومة وكانت تجرى بها تجارب نفسية وأخرى غير ذلك على هؤلاء اليتامى وكانا جون وتيريزا ضمن العينات، حيث كانا مذ صغرهما يتعرضا لتجارب التأقلم أي يدربا على تحمل الجوع والعطش واختلاف الحرارة وهكذا..، وكانا في كل مرة يتعرضا لمدة أطول حتى يمكن تسجيل كم أقصى مدة يتحملها الانسان؟ وهل يتحمل الذكر أكثر أم الأنثى؟ أم بالعكس؟ أم بالتساوي؟ وهل فارق السن يلعب دور في ذلك؟ وهل البيئة والمورثات الجينية لها علاقة؟ وأحيانا كانوا يحجبون الضوء عنهما وهما في حال شديدة من الجوع ثم يضعوا لهما الطعام في وسط تلك الظلمة ويتركا للبحث عما يسد رمقهما، وهكذا في كل مرة تتكرر التجربة يسجلوا زمن ذلك ليعلموا مدى تأقلمهما.

ونتيجة لهذا زادت القدرة عند الأخوين على التحمل وكذا نمت حواسهما أكثر إضافة إلى أنهما كانا يتدربان على فنون القتال بمختلف أنواعها.

لم يكن يحصل لهما كل هذا لوحدها، بل كانا مجرد أداتان من عدة أدوات بشرية، وكانت العينات الأخرى التي معهما تمر بنفس ما يمران به وكانت درجة تحملهم وتأقلمهم متفاوتة،

فمنهم من كان يلقى حتفه من ضعف مقدرته ومنهم من كان يحاول الفرار فيقتل ومنهم من كان يجن ومنهم من كان ينتحر ومنهم من كان لست أدري أأقول يفقد صوابه أم يفعل الصواب فينظم ثورة على تلك الدار فينجحون بقتل بعض الأفراد ولكن سرعان ما تحبط ثورتهم ويلقون كذلك حتفهم، ومنهم من كان يتودد للقائمين على الدار فيجازوا بأن يكونوا خدم يساعدونهم في بعض شأنهم، ولكن شيء واحد مؤكد هو أنه في أي صنف كنت فإنك ستفقد انسانيتك.

وحقا جون وتيريزا فقداها وسط ذلك، فصار كل همهما أن يتحملا لينجوان مهما سقطت الأرواح حولهما فلا يبديان أدنى اهتمام، ومع ذلك فإن مشاعرهما ذبلت ولم تمت، فقد عادت لهما في موقف إن لم يتحرك فيه إحساسهما لكانا قد أصبحا حجارة بل أشد ولكانت الوحوش أرق منهما، ففي هذا الموقف الذي طلب من جون وتيريزا أن يتقاتلا حتى الموت لم يستطع أي منهما أن تتملكه الرغبة في سفك الدم مع أنهما قد سفكا الكثير قبل هذا، حينها فقط قررا إن كان لابد من أحدهما أو كلاهما أن يلقى حتفه فلابد أن يأخذا أكبر قدر من المنظمين حولهم، فالقاعدة كانت بسيطة إما أن ينجوا الكل أو يهلك الكل.

وعليه فقد حضرّا كمية من المتفجرات كانت كافية لتلحق ضررا وفي ساعة القتال فجرا المكان بما فيه من أدوات بشرية وأخرى آلية ورؤساء ومرؤوسين، وبعد الانفجار نجت

طائفة وهلكت أخرى وانتقلا جون وتيريزا إلى باقي الفتية ليكملا معاناة أشد من سابقتها.

19.الإيهام

هذا وفيما أسردته عليكم من أخبار الفتية في عالمهم وفيما كانوا عليه، وكيف أنهم جميعا يشتركون في كونهم قاسوا مآسي شديدة ومعاناة أليمة تبيّن لنا أن هؤلاء الشياطين لا يختارون ضحاياهم عشوائية وإنما يسلطون الضوء على المنبوذين اجتماعيا، مَن وجوده كعدمه وكذلك من فتكت بقلبهم وحشية الحياة حتى لربما يكونون ساخطين على ذويهم من البشر ناقمين عليهم يريدون أن ينتقموا منهم وأن يذيقوهم مرارة هي أشد مما ذاقوها.

ورغم كل هذا فإن هؤلاء الفتية صفوة مختارة فاقوا ظنون الشياطين ومكرهم، فبعد أن أقسموا الولاء زيفا تحتم عليهم احتمال ما يكرهون وتنفيذ ما يأمرون حتى ينجحوا في كسب تصديق الشياطين لهم، فراحوا يوهمونهم ذلك من خلال تقليدهم لصنف من الأصناف التي ذكرتها من قبل وهو صنف الأشرار خبيثي الأنفس، وكان من السهل ملاحظتهم

لشدة إقدامهم على السحر والأعمال الشيطانية كإقدامهم على الطعام من شدة الجوع، فكشروا عن ساعديهم مثلهم واعتلوا ملامح الشياطين كأنهم هم فيا لبراعة تمثيلهم.

لكن رغم كل هذا يبقى التمثيل تمثيلا مهما نضج ولا يمكن له أن يرتقي إلى مستوى الحقيقة، فذوي الخبرة المتمرسين يمكنهم كشفه وهذا ما لاحظته إليزا في الفتية كلهم فسرّها ذلك أشد السرور إذ أخيرا وجدت الفرصة المواتية التي طالما انتظرتها بكل صبر وقوة وهدوء مترجية آملة فيها مهما لاح لها خيط اليأس وشدة الظلمة حولها إلاّ أنه انجلى لها الضياء وها هي الآن أمام فرصة لو ضاعت فلربما لن تأتي ثانية.، وإن كانت لتنفضح من شدة الفرح إلاّ أنها تمالكت نفسها وأدركت أن لابد عليها استغلال الفرصة أحسن استغلال وراحت تعد خطة لذلك.

رغم يقينها بالفتية كان لابد عليها أن تختبر صدق نواياهم وأن توحد صفهم ثم تشاركهم الخطة التي وضعت ولأجل ذلك عليها أن تفيدهم بخبرتها وترشدهم قدر ما استطاعت.

20.التعلم

ولماّ حان ميعاد التعلم وجب قبل بدايته أخذهم في جولة استرشادية حول المكان الذي سبق أن أشرت إلى شدة ظلمته و وحشيته ومدى فظاعته.. ولكن كان ذلك فقط ما لمحته في أول وهلة، أما وقد أخذت أنتقل معهم في تلك الجولة فقد تبيّن لي ما يعجز العقل عن إدراكه ويستصعب تصديقه.

كان المكان عبارة عن مدينة عائمة، نعم فقد كانت موجودة تحت الماء بها مجموعة من القصور المتصلة فيما بعض ويحيط بهذه القصور مجموعة من القلاع، وكانت تلك القصور شاهقة الطول ورغم ذلك فهي أقل طولا من القلاع، أما عن عرضها فقد كانت عريضة مد البصر بينما القلاع فيمكن إدراك نهاية حدودها، وكانت حجارتها المستعملة في بنائها ملساء بحيث لا يمكن لأي شيء أن يتثبت عليها وكان لونها غريب لست أدري أهي رمادية داكنة أم سوداء، وكان يحوم حول هذه المدينة ضباب يشوش لك رؤية ما حولك وكانت أبوابها ضخمة مصنوعة من مادة تشبه خاصية

الحجارة حتى لخيل إليك أن لا باب موجود بها، لذا فكانت تعرف مواضعها بوجود تماثيل فوقها منحوتة تشبه القردة ولكن لديها أجنحة وقرون وكانت شرارة عيونها شديدة تبث الرعب في النفوس ويكأنها متعطشة للدماء، والعجيب من هذا كله أنّ هذه المدينة لم تكن مرتكزة على أي شيء وإنما عائمة تماما وسط غمق الماء.

هذا بعض ما كان في الخارج أما عن الداخل فلا تقل غرابة أبدا، فقد كانت جدرانها كما أسلفت شديدة الظلمة والعتمة وملطخة بالدماء وإنارة أورقتها طفيفة حتى ليحسبنّ لك أنها منعدمة، وبسبب هذا لم يكن بالإمكان الانتباه للوجوه المثبتة على الجدران، وكانت هذه الوجوه تتحرك لتنقل كل ما يحدث, وكانت كذلك القاعات والحجرات والأروقة وكل شيء موجود داخل المدينة يتحرك ويغير مكانه عن موضعه السابق حتى لا يتسنى أن يدرك ماهية المكان، ولكي يتمكن الموجودين بها التنقل كانت ترسل لهم خريطة كل يوم من قبل المسؤولين عن المراقبة بها فقط الأماكن التي يسمح بها، وكان المراقبون كلهم شياطين من عائلة واحدة أقسمت ولائها من أول جيل على المراقبة فقط وكانت تربي أبنائها على ذلك أيضا، هذا وكانت كذلك المدينة بأكملها تغير موقعها إلى مكان آخر في الماء وكل ذلك بوقت معلوم.

إنّ هذه المدينة لهي حقا مدينة أشباح فلا يكاد يَثبُت عنها أي شيء ولا كان بالإمكان الخوض في أسرارها وخبياها، إنها حقا تليق لمثل الأعمال التي تمارس فيها.

كان ما يسمح به بلوغه في تلك المدينة فقط غرف النوم والأكل وقاعات التدريب والمكتبات.، أما عن غرف النوم فيحزنني أن أقول أنها بيوت دعارة فلم تكن هناك قواعد تصونها بل وكيف يمكن لذلك أن يكون إذ كانت الغاية إفساد النفوس وتحبيب الرذيلة وإماتة القلوب، ولحسن حظ الفتية أنهم جمعوا في غرفة واحدة فتظافر جمعهم الحسن في الحفاظ على طهارة قلوبهم ولكن لسوء حظهم فلم يكن بالإمكان الحفاظ على طهارة أجسادهم لكون حجرة النوم هي نفسها بيت لقضاء الحاجة فمهما حاولوا جاهدين التطهر من كل دنس فقد كان ذلك فوق استطاعتهم ومتحتم عليهم، فيا لفظاعة هذا المكان القائم على الدنس.، أما غرف الطعام فقد كانت فقط قاعة كبيرة يمتلأ الكل فيها ليجدوا عليها جثث ملقاة وكذلك الكلاب والحمير ونادرا ما كانوا يتحصلون على بضع الديّكة، ويجدوا معها سكاكين ثم يتركوا لمدة محدودة مع كل هذه الجيفة ليتقوتوا منها، فإما يعيشوا على هذا الطعام أو يصبحوا هم أنفسهم طعام فيا لفظاعة هذا المكان القائم على الوحشية.

وبعد هذا الطعام يقدم لهم شيء من الخمر والدماء وبعض الماء الذي كان كفيل بإعادة الروح لمن لا زالت قلوبهم طاهرة. فإن كانت غرف النوم والأكل بهذه الفظاعة فيا ترى كيف كانت قاعات التدريب؟

لقد كانت عبارة عن قاعة ضخمة مقسمة على عدة غرف مصنفة على عدة مستويات وتختلف غرفة عن أخرى بحسب

المستوى، وكانت على سبع مستويات كل مستوى به سبع غرف وكل غرفة تضم سبع مجموعات، أما عن المستويات الأربع الأولى فيشرف عليها كبار السحرة وأما عن الثلاثة المتبقية فيشرف عليها العفاريت وهم من صفوة الشياطين.

ففي المستوى الأول يتم تعليمهم أساسيات السحر وهي كيفية استحضار الشياطين كما سبق وأن أشرت إليها وكان آفاريتا هو المسؤول عن ذلك، أما في المستوى الثاني فقد وكل إلى آكسيديا تعليمهم كيفية الانتقال بين العالمين ويتم هذا من خلال الماء أو المرآة أو أي شيء يعكس صورتك وإن كان معدن ثم تقرأ بعض التعاويذ تستدعي حضور أحد الشياطين الموكل إليها أمر السفر ثم تذكر المكان المراد الذهاب إليه وتقدم أضحية فيتم الأمر، وكان في الأول يسمح لهم بتطبيق الأمر فقط في حدود القلعة فكانت الأضاحي بسيطة وكلما بعد المكان كان مقدار الأضحية مكلف، ولم يكن بالإمكان استغلال الأمر للهروب فقد كانت تلك التعاويذ موقوتة أي تلبي لك أمر قضاء حاجتك ثم تعيد بك إلى حيث كنت.، أما عن المستوى الثالث فيشرف هيليوس على تعليمهم أكثر الأعمال التي يقوم بها السحرة كالتفريق بين الناس وقراءة الطالع و التنبؤ بالغيب والتلبس.. وكان تعليمهم في هذه المرحلة نظري بحت، إذ كان شرطان أساسيان ينقصاهم أولاهما عدم وجود رغبة شخص في الانتفاع من شخص آخر وثانيهما عدم وجود أي رابط متعلق بالشخص الذي يريدوا أن يطبقوا فيه رغبتهم ، أي بمعنى آخر فالسحر لا

منفعة منه إذ لم يطلب الانتفاع به لذا فقد اكتفى هوليوس بتعليمهم فقط الطلاسم والتعويذات المناسبة لكل طلب.، وفي المرحلة الرابعة تولى فانغلوريا تعليمهم كبائر الأعمال وهي قليل ما يتم الطلب عليها إذ تتمثل في القتل والسرقة غالبا ولكن ليسا كأي قتل وسرقة عادية يقدر عليها أي انسان، وإنما يتمثلان فيما هو ير عادي والذي لا يتم إلا بواسطة الشياطين والداعي إلى ذلك أن يكون السحرة هم الوسيطون، زلما كانت هذه الأعمال جد غير عادية فقد كانت تكلفتها باهظة لذلك فمن كان يطلبها ليس أيُ أناس وإنما أصحاب النفوذ كالملوك والزعماء وكبار التجار الذين يصل دفعهم في بعض الأحيان إلى أن يقوم ملك من الملوك بمنح غابة لهم ويجعل لهم ميثاق بأن لا يقربها أحد من البشر أو أن يقدم لهم مساحة من الصحراء أو منطقة على الماء، وكذلك يقوم زعيم من الزعماء بحماية المشعوذين والسحرة، وأن يقوم تاجر كبير بتمويل نشاط السحرة وإحضار لهم بعض الأدوات النادرة التي يصعب العثور عليها ..، كل هذا مقابل إعانتهم في توسيع نفوذهم ونجاح تجارتهم والتخلص لهم من أعدائهم.

بقي لي أن أخبركم ما يقوم العفاريت بتعليمه، أما العفريت الأول ويدعى جولا فهو مسؤول عن تكوين سحرة المتحكمين في عناصر الطبيعة من أرض وماء ونار وهواء، وغالبا ما يستعمل السحرة هذا النوع لخداع الناس واستغلالهم وتضليلهم وإغوائهم لتعلم السحر وتحبيبهم فيه وحتى يتلقوا القبول في وسط المجتمع البشري، ولكنه في الحقيقة مجرد

زيف وباطل وإغواء للبصر فحتى يتم تنفيذه يلزم توفر العنصر المراد التحكم فيه ومن ثم يلقي عليه تعاويذ خاصة فيستدعي بها الساحر شيطان بحسب النوع المراد فيخدع ذلك الشيطان أبصار الناس على حسب رغبة الساحر، فمثلا يكون عند الساحر شيء من النار ويريد أن يجعلها عظيمة فإن شيطان مختص بالنار سيصور للناس أنّ ذلك القبس صار نارا عظيمة وهكذا في شأن كل عنصر، ولو أن الساحر طلب منه التحكم في الماء ولم يكون موجود لديه لما استطاع.، ثم إنّ العفريت الثاني فقد كان يعلم السحرة كيفية تحريك الجمادات وتحويلها والتحكم بها، وقد كان اسم هذا العفريت إيرا وكذلك كان يُستعمل هذا النوع من السحر لنفس غرض ما يُعلمه جولا، إلاّ أنه كان يزيد عليه بشيء وهو فيه نوع من الجزاء أو الاكرامية إن شأت القول بالنسبة إلى السحرة فيستعملونه لقضاء بعض حوائجهم، وكذلك كان في هذا النوع شرط يجب أن يتوفر ألا وهو وجود هذا الشيء المراد تحويله بما يختص به، فمثلا إن أراد استحضار الذهب فلابد أن تكون معه قمامة وإن أراد ثعبانا فلا بد من وجود حبل..، أما إن أراد تحريكها فلا قيد يفرض عليه وإنما يتم له ذلك ببساطة.

ويعلمهم آخر العفاريت وهو المسمى فورنيساتيو كيفية إحياء الموتى أو بالأصح كيفية ادعاء إحياء الموتى، ويكون من الواجب عند القيام بهذا الفعل التضحية بروح إنسان مقابل كل عدد المراد إحيائهم، فمن أحي خمسة أناس وجب عليه قتل

خمسة آخرين وهكذا، أما عن كيفية فعل ذلك فإن الساحر بعد قتله لشخص ما أن يرسم فوق تلك الجثة المقتولة طلاسم معلومة ويأخذ ميثاق من الشيطان الذي كان ملازما للجسد المراد إحيائه، ثم يذهب إلى ذلك الجسد ويضع يده على رأسه ثم يشير إليه بأن قم فيتلبس ذلك الشيطان المأخوذ منه الميثاق جسد الميت ويُنهض به ويتكلم بما كان يتكلم به ذلك الميت حين كان حيا، فينبهر الناس لتلك الخدعة ويصدقون ادعائه وفي الحقيقة لوكان قادرا على فعل ذلك لسيفعله في نفسه ولكان فعله في الأموات التي تآكلت جثثهم ولكان فعل ذلك في أي وقت شاء ولكنه يعجز عن ذلك فهو كاذب.

هكذا كانت طرق التعلم في مدينة الأشباح وهذا ما كانت تمر به إيليزا لوحدها قبل وصول هؤلاء الفتية، وعلى ذكر إيليزا أريد أن أخبركم عما كانت عليه قبل المجيء بها إلى هنا.

21.إيليزا

كما حال أولئك الفتية وحال جميع من سيق إلى هذا المكان لم يكن حال إليزا الأخرى ضحية للمجتمع مختلفا بتاتا، فقد كانت هي الفاسد تآكل قلبها بآثامهم وظلمهم حتى صارت منبوذة وكأنها أتت لهذا العالم نتيجة خطأ.

فعندما كانت صغيرة في الرابع من عمرها ضرب الفيضان مكان إقامتها مع أهلها وفي أثناء هلع الناس وهروبهم استغل بعض حثالة القوم الفرصة في النهب وهكذا اختطفوا إليزا وسُجِلت المسكينة ضحية من ضحايا الفيضان بدلا من ضحايا الفساد، فتم بيعها إلى نادي دعارة وهي في الرابعة من عمرها، فعرفت مذ ذاك الحين حقيقة البشر المرضى قلوبهم المنغمسين في اللذات على حساب براءة غيرهم وهي تشتغل نادلة في وسط كل هؤلاء ويكأنها هرة وسط الضباع.

ولما مرت عشر سنين وبعد أن استوى جسدها في حوالي الخامس عشر تغير عملها في أول ليلة تفقد فيها عذريتها عنوة من فتاة رقص إلى فتاة بغاء، فقد أجبرت على البغاء جبرا ليس فيه أي أمل للنجاة أو حتى المقاومة، بل وحتى قُوَادها لم يكن لهم حل غير تشغيلها لهذا الأمر، فكيف لا؟ وقد كان يجني لهم وافر المال..

نعم فقد كان حثالة القوم يفضلون الفتيات الحديثي البلوغ عن غيرهم من النساء لإن الكبار في السن تضعف درتهنّ على الجنس ويكنّ قد تعفنّ كثيرا، بينما أمثال إليزا فيكنّ حديثي عهد وبذلك يكنّ أكثر امتاعا وهذا ما يجعل ثمنهنّ باهظ، ثم ما لبثت المسكينة حتى أدمنوها على المخدرات والخمر هذا إضافة إلى عملها كراقصة تعري في الليالي التي تستريح فيها من وطأة الوحوش التي تفتك بجسدها الفتي فتك السباع بفرائسها.

ولم يقف عملها إلى هذا الحد وحسب،بل زاد عن ذلك إلى الحد الذي ربما قد يكون لاحقا سببا في نجاتها أو ربما لا.

فقد وقع لها بهذا الحدث السبب الذي جلبها إلى هذا العالم،وذلك لأنه في ذات ليلة وُكِل إليها أمر تهريب مخدرات بكمية ضخمة وفي أثناء نقلها إلى المكان الذي كان من المفروض أن تبدأ فيه عمليتها، كان قد تم كشف أمرهم من قبل الشرطة فدخلوا في اشتباك معهم أدى إلى مطاردتهم،وفي أثناء المطاردة انزلقت السيارة من منحدر مرتفع فانفجرت حينما ارتطمت بالأرض ولكن إليزا لم تنفجر معها، بل نجت في عالم شيطاني آخر غير الذي كانت تعيش فيه سالفا، وعند الفول بعالم شيطاني آخر فذلك يعني تماما أن هذا العالم المليء بالبشر هو عالم شيطاني أيضا، فكيف لا؟ وهو مليء بالأنذال ممن يظلمون ويحقرون ويصل بهم الأمر إلى التعذيب من أجل اللذة وآخر يقتل من أجل المتعة ويبغضون بعضهم البعض من أجل المال الذي لو أرادوا استهلاكه كله لكفاهم وما هلك، ويوقدون الحروب فيروح في سبيلها آلاف الضحايا ويشرد من يشرد وتُرمل من ترمل ويُيتم من ييتم ، كل هذا لأجل مصالح مادية وأطماع جشعة أو لأجل الوصول إلى المنصب أو بسبب حقد على أمة من الأمم أو لإقامة مشروع في المنطقة القائمة فيها الحرب أو لأجل بيع الأسلحة وفائض انتاج الطعام والدواء.. إلى غيرها من الأسباب التي تعادي الانسانية، ثم ينادي بعدها هؤلاء الأنذال بالسلم والاستقرار والأمان ويظهرون مظهر الشجعان والأبطال ثم

يصافحون أيدي أعدائهم ويفرحون الناس ظنا منهم أن هذا القرار إنما هو لوقف سيل الدماء وإنما هو في الحقيقة لوصولهم إلى اتفاق يرضي مطامعهم بعد أن لاقى الجنود حتفهم هدرا وهم موهومون أنهم فعلوا ذلك لخدمة أوطانهم وشعوبهم، وكيف لا ؟ وهذا العالم يموت فيه كل يوم آلاف الناس جوعا والطعام موجود وكافي وهذه الأرض تسع للجميع ولكن للأسف يوجد فيها جياع العقول يعشون فقط ليكتنزوا ولا يفيدوا ولا هم يستفيدوا، يهدرون يوميا أطنان من الطعام أن يستغلوا منها فقط كيلوغرامات ، وآخرون أشد من هؤلاء حمقا وخبثا يكنزون كما يكنز المبذرون أو أكثر منهم ويستهلكون أقل منهم بكثير حتى لا يكادوا يشبعون أنفسهم.. وهؤلاء هم البخلاء وهم أشد من المبذرين لإنهم على الأقل ينتفع منهم أصحاب التجارة بينما البخلاء فلا أحد ينتفع منهم.

وكيف لرجل غني أن يضاجع فتاة صغيرة ويعطي لها المال على ذلك ؟ أما يَعقل؟ أليس من الحكمة والعقلانية أن يشبع غريزته في زوجته ويُعين تلك البائسة ليحفظ لها عفتها وشرفها وكرامتها بهذا المال الذي كان سيدفعه على أي حال ؟ ولكن شاءت نفسه الدمثاء ألا يسدي المعروف ويدفع بتلك الضعيفة أن تصبح مومسة لما حتمه عليها فقرها وبشاعة شعبها، فكيف إذا أن لا يكون هذا عالم شياطين؟

وكيف لا؟ والناس في هذا العالم يُختطفون ليتم بيعهم كليا بأجسادهم وأرواحهم ويصبحون عبيدا فوق إرادتهم، وأحيانا

يتم قتلهم فقط ليستغلوا تشييع جنازتهم في تهريب فقط شيء ما ممنوع.

وكيف لا أن لا يكون هذا عالم شياطين؟ وفيه كل أنواع الشر والمكر والرذيلة حيث إن الناس يكذبون وينافقون ويراؤون بكل سهولة، بل ويسخرون من أولائك الذين يتصفون بالأخلاق السمحاء الكريمة والخصال الحميدة، نعم أن هؤلاء الصادقون الطيبون هم ضحايا هذا العالم الشيطاني البائس، فأفلا يكفي من خلال كل ماذكرت أن طيبين لنا حقيقة هذا العالم و وحشيته ؟ أظن ان لا داعي أن اسرف الحديث في الكشف عن خفايا هذا العالم و أن تعود لما حدث مع إليزا أثناء استيقاظها في عالم الشياطين الذي حقا سكانه أصليين شياطين . في الحقيقة لست أدري ان كانت حزنت أن سعدت ففي البداية سكنها الفزع لهول ماوجدت و بشاعت ما رأت ، لكن لما عرفت ما يتوجب عليها قيامه و ما تلاقيه من جزء و حسن معاملة من ذلك انبسطت المسكينة كانبساطها في احضان والديها ، ولماذا؟ و قد لاقت ما لا تلاقيت و هي بين ابناء بني جلدتها فسحقا لكم أيها البشر المرضى بدماثة الأخلاق، بئس الثوم انتم أن جعلتم من عالم وحشي يبدوا ألطف من عالمكم، و بالرغم من كل هذا الظلام الا أنه هناك ضوء امل و بذرة خير على الرغم من أنهم فئة ضئيلة إلا أنها كافية لزرع الخير و الطيبة و نبذ الظلم و الفساد و إليزا واحدة من هذه الفئة و هي و اولائك القوية و هم دليل على وجود هذه الفئة الضئيلة و خير مثال لهم . إليزا لما سرها

هذا العالم و ابسطت له لمالقيته من حسن معاملة على ما كانت عليه، لم يعني ذلك لها بيع انسانيتها وهجر طيبتها ، و لما سخطت على عالمها الأصل وحقدت عليه وبغضته لم يعني ذلك أنها أن تتمنى زواله وهلاكه، كلا بل أرادت إصلاح ظلم وفساد هذا العالم وتعميم طيبتها وحبها وانسانيتها، ولذلك صبرت إلى حين وجود ملاذ، وهاهي الآن تستغل فرصتها بكل ما أوتيته من قوة وعزم وإصرار.

22.كشف النوايا

بعدما اعتاد الفتية على هذه المدينة وشرورها وعجائبها وكيفية سيرورتها رأت إليزا أنه قد حان وقت الانطلاق وآن لها أن تطلعهم على ما تعلمته وأن تشاركهم خبرتها، لذلك تبين لها أن تجمعهم وتصارحهم بكل شيء، ولفعل ذلك يلزمها أن تعزلهم بحيث لا ينفضح أمرهم، ومما سهل لها ذلك أنها كانت تقدم تقارير مفادها أن الفتية ذوي محبة السحر وأنهم رضوا بخدمة هذا العالم بعدما سخطوا على عالمهم الأصل وبأنهم قد آثروا مصلحتهم الذاتية ومطامعهم الخاصة على حساب فائدة غيرهم.

فلما رأى الشياطين مدى موافقة هذه التقارير لما يقدمه الفتية من نشاط وإقبال في حصص نعلمهم صدقوا طاعة الفتية وولائهم لهم، لذلك فقد قلل الشياطين من حذرهم وهذه كانت ثغرة تعد لصالحهم عرفت إليزا كيف تستغلها، وليس هذا فحسب بل أيضا كانت قد ساعدت الفتية في تسهيل عليهم التعلم دون أن تخبث قلوبهم ويسرت لهم تدبير شؤونهم مما جعلهم يثقون فيها ويحسنون الظن بها.

وهكذا لما مضى على وجودهم قرابة الأربع أشهر وفي الليلة التي كوفئوا بها براحة واحتفال، انتهزت إليزا فرصة

اجتماعها بهم فقط لوحدهم وألقت تعويذة شوشت مراقبة الشياطين بحيث تجعلهم يظنون أنهم صاخبون في الاحتفال و الحقيقة كانت أنها تباشر في مشاركة خطتها.

وبالفعل قد باشرتها فأخبرت الفتية عن كل شيء وعن أمر مراقبتهم وأثبتت لهم أنها أُرسلت جاسوسة إليهم، ولكن شأنها شأنهم تريد الهرب وأخبرتهم عن وجود فرصة لذلك والدليل هو شدة المراقبة والحذر الذي يفرضه الشياطين إنما هو لخوفهم وعدم استحالة انهزامهم، وإلا فما الذي يدفعهم إلى كل هذه التدابير والحيطة وبخاصة دفنهم لسر يعد وصمة عار لهم ؟

وهكذا قام الفتية أيضا بكشف نواياهم ورغبتهم في الفرار مهما كلف الأمر، فعقدوا العزم على ذلك وتحالفوا فيما بينهم وقرروا كيفية عملهم وطريقة تواصلهم، وهي أن يمهدوا لذلك بتلفظهم لكلمة تكون معروفة فقط فيما بينهم وأن لا يتجمعوا أثناء التواصل فوق ثلاثة ثم يقوم أحد الثلاثة بنقل الحديث إلى اثنين آخرين وهكذا حتى تصل إلى الكل وأن يلقوا بالتعويذة التي تحجب المراقبة، ولضمان أنهم أن يخدعوا بعضهم البعض فقد هددتهم إليزا لأنها ستنكر تحالفها وتوقع اللون على الخائن وتخبرهم بأنه أراد التمرد وتحريض الآخرين وبغرض كشفه قامت بكشف هويتها وسايرته في ذلك حتى تنفضح كل خططه.

وبالفعل قد نجح هذا التهديد فقد سكن الخوف قلب كل منهم لأن الفكرة بدت مقنعة ولأن إليزا لها الفصل عليهم وخاصة أنه سيقع كل اللون على الشخص الراغب في الخيانة وبذلك سيهلك وحده، ولأن طبيعة الانسان ترفض أن يخلك الشخص بنفسه دون أن لايهلك من معه لذا فإن أمر النجاة عن طريق الخيانة كان أمرا يعد مستحيلا وكذلك حتى وإن كانت هذه الحيطة لابد من الأخذ بها إلاّ أنها كانت مجرد إضافة فحسب، فأولائك الفتية لو كانوا يفكرون في الخيانة لكانوا قد رضخوا من الأول لطاعة الشياطين، ولكنهم لم يفعلوا بل عزموا كلهم منذ بداية الأمر على الفرار وهذا عامل حاسم في النجاة، لذا لم يبق لهم سوى أن يضعوا خطة محكمة وأن يلتزموا بها.

23.الخطة

كان أساس الخطة يعتمد على ذلك السر الدفين الذي سبق وأن أشرت إليه وهو الذي سبّب في الهروب من قبل وسيفعل من بعد، لقد كانت ماهية ذلك السر عبارة عن مجموعة كتب مخفية في إحدى المكتبات الشاسعة في ذلك العالم بها تفاصيل محاربة الشياطين وسحرهم وكيفية التغلب على قواهم، لكن هذه الكتب رغم أنها أساس الخطة إلاّ أنها جزء من الخطة فقد شكت إليزا في نسبة نجاحها لذلك فقد أضافت ما يزيد من فرصة النجاح، فلقد خمنت بإحداث فوضى عارمة تُشتت الانتباه حتى يتسنى لها أن تنقل المدينة خارج الماء ويمكنهم حينئذ الفرار وأفضل وسيلة لاحداث فوضة هي صنع ثورة وذلك بأن تحرض بعضهم عن بعض أن تجعل مؤيدين ومعارضين وأن تجعل الاصطدام بينهم مضطرب فلا المؤيد

يعرف الغاية من تأييده ولا المعارض يدري، أي يكونوا بمثابة الدمى التي تحرك خيوطها وفق رغبات غيرها.

لقد كانت الخطة إذا ببساطة أن تضرب الأعداء بالأعداء والسحر بالسحر ولفعل كل هذا فقد احتاجت إلى من يعينها وهذا هو السبب في عدم محاولة هروبها من قبل بمفردها رغم أنها كانت تعلم باستطاعة ذلك وبشأن الكتب، ولكن ليس في وسع المرء فعل كل شيء بنفسه وأن يلقي بالأعباء كلها على كاهله فهذا يعد انتحار فويكأنه يضع جبلا على ظهره.. وهل يطيق المرء ذلك؟ فقد كانت إذا في حاجة ماسة إلى من يساندها حتى تضمن نجاح الخطة وحتى يتسنى لها أن تقلب هذه المدينة رأسا على عقب وحتى تتمكن من إيجاد بقية الكتب والأدوات.

أجل فقد كانت تملك أحد الكتب التسعة ذات القوى المضادة للشياطين والذي بفضله تمكنت من معرفة السر وإلا فإن شأنها كان ليكون مثل شأن البقية غافلين عن الثغرة الموجودة.

أما عن كيفية إيجادها الكتاب فالحقيقة كان هو من وجدها وذلك أثناء ليلة شعرت فيها بالضجر فتمشت خلسة دون أن تكون لها وجهة حتى وجدت نفسها قرب إحدى المكتبات فسولت لها نفسها أن تدخل، ولما أخذت تتجول بها أشع لها نورا أرهبها في الوهلة الأولى ولكن بعدما اقتربت منه وجدته كتابات فحملته وبدأت تتصفحه فحينها ألمّت بكل شيء

وبقي عليها إيجاد بقية الكتب، ولكن لما لم تستطع إيجاد ولو كتاب آخر بعد كل ذلك الزمن الذي قصته؟ ولما هي وحدها بين كل من كان يتواجد من استطاعت إيجاد الكتاب ؟ ذلك لأن هذه الكتب لا تظهر نفسها إلا للصادقين الخيرين الذين يبغضون هذا العالم ويودون التخلص منه، لذلك فإنه إن كان في المكتبات الشياطين والسحرة وكل من هو مطيع لهم محبا لهذا العالم وراض به أو كان يتواجد الصنفين معا فإن هذه الكتب لا تظهر حتى لا تقع في الأيدي الخطأ ويضيع كل شيء.

وهذا هو سبب إيجاد إليزا الكتاب دون غيرها، لأنها تواجدت لوحدها في المكتبة وكانت من الصنف الأول وإليزا لا تعرف أن هذا هو السبب لذلك لم تستطع إيجاد ما تبقى رغم طول مكوثها في هذا المكان، ولكنها ظنت أنه إذا كثفت البحث لمساعدة أشخاص آخرين فإنها ستتمكن من العصور عليهم.

وهكذا طلبت من الفتية أن يتسللوا بين الحين والآخر ليفتشوا في المكتبات، وحينما بدؤا البحث كانت مهارتهم التي اكتسبوها من قبل في عالمهم عاملا ساعدهم في العثور على الكتب فلا الظلام أعاقهم ولا تحرك الغرف أحادهم عن وجهتهم فأصبحوا كأنهم في مساكنهم.

وهكذا لما جهزت المعدات صار تنفيذ الخطة أمرا محتوما لارجعة فيه وكان آخر ما قالته إليزا لهم: استعدوا

للمخاطر، واجهوا بكل حزم قد تكون بعض التضحية واجبة تحلوا بالشجاعة.

24.التنفيذ

بعد مرور ايام استيقظوا على نية الفرار وعلى عزم النجاح من خلال تنفيذهم الخطة التي وضعوها واتفقوا عليها، فبدؤوا في نشر شائعات مفادها أن حادثة صادمة قد وقعت في هذا العالم وأنه قبل بضعة أيام نجحت مجموعة أخرى في تكرار المأساة الواقعة بهذا العالم وأنه يوجد كتب مضادة السحر وأدوات قوية يمكن بها محاربة الشياطين، كانت هذه الإشاعات ذات تأثير قوي على الكل وبخاصة الشياطين فقد استشاطوا غضبا وجعلوا يشددون الحراصة ويبالغوا في

القمع ويفقدون هدوئهم، ثم إن ردة فعلهم هذه زادت من مصداقية الاشاعة وصار السحرة يشككون في قوة الشياطين وامكانية تعاملهم مع الامر كما جعلت الشياطين يشكون في الكل دون استثناء، كما أنها أيقظت بعض النفوس التي يأست من الخير وعاد لها الأمل.

وما إن لبثت هذه الاضطرابات حتى زاد أثرها وذلك عندما قامت إليزا ومجموعتها بتسريب بعض الأشياء من عالمهم الأصل إلى كل متعلمي السحر فكانت بمثابة الحنين إلى وطنهم وأيقظت فيهم الرغبة بالعودة إلى حياتهم فإذا بهم يحدثون تمردا على الشياطين أدى إلى نزاع بينهم.

وفي وسط هذا كله استغل الفتية الوضع ووضعوا متفجرات في القاعات الرئيسية أدت إلى خراب المكان كله ثم توجهوا بفضل تلك الكتب إلى المحرك الرئيسي للمدينة وهم متخفين عن أنظار الكل وهناك دخلوا في صراع مميت مع الشياطين القائمين على غرفة التحكم إلا أنهم نجحوا في هزمهم ونقل المدينة العائمة إلى سطح أرض عالمهم، ثم بعد ذلك دمروا غرفة التحكم وألقوا عليها تعويذة تجعل من إعادة تصليحها أمرا يستغرق وقتا كبيرا وهو ما يكفيهم من الهروب.

وبعدها كانت الخطوة الأخيرة هي الأخطر والأصعب فقد كان عليهم أن يتخطوا أبواب المدينة وهذه الأخيرة فلإنها كانت هي المنفذ الوحيد، كان إذا على كبار السحرة

والشياطين أن يحرسوها بكل ما أوتوا من قوة حتى يتمكنوا من احباط هذا الهروب لذلك فحتى ينجحوا قاموا بالهجوم على أضعف منطقة حراسة وعزلوا عنها كل الطرق التي يمكن أن يأتي الدعم منها، كما قد تمكنوا من جمع حشد من متعلمي السحر ليشاركوهم في الهجوم ولما وصلوا إلى المكان المنشود أصبحوا حقا في موضع حاسم وفي خطورة أكبر من سابقتها فإن كانوا قد واجهوا وقتا عصيبا عند غرفة التحكم التي كان يحرسها فقط جزء من العدد الموجود أمام بوابة الخروج، فكيف إذا سيفعلون أمام هذا الحشد من الحرس؟ هل سيتمكنوا من العبور؟ وإن فعلوا هل حقا سينجون من بعدها؟ وإن فشلوا فماذا سيكون مصيرهم، هل سيعاقبون فقط بشدة أم سيلقون حتفهم؟

لقد راودتهم حشد من الأسئلة عند لحظة التقلاق وخاصة عندما تم اخبارهم بالاستسلام الآن قبل فوات الأوان، وبعد ارتباك دام جزء من الوقت إلا أنهم أحسوه العمر كله، فقامت إليزا حينها فقط بالصراخ ولكنها كانت صرخة مليئة بالمعاني كانت كلها حماس كانت كأنها خطبة ثورية أعادت الجنود إلى رشدهم وذكرتهم بمدى عزمهم وضرورة تضحيتهم.

استجاب الكل لها واندفعوا في طلقة واحدة هزت دفاع العدو وأخذوا يسقطونه ويتساقطون معه إلى أن انهار كلا الجانبين، ورغم أنهم كانوا على بعد خطوة للنجاح إلا أنهم لم يتمكنوا من ذلك، فلقد بدأ يتلاشى لهم ضوء الأكل وصاروا منهمكين بشدة فلم يعد بوسعهم فعل شيء سوى التشبث في الصراع

واجبار أنفسهم على المقاومة، ولما أصبحوا على حافة الانهيار تطرقت إليزا إلى خطتها الاحتياطية والمتمثلة في التضحية.

أجل فلقد بدى لها لزاما أنه من أجل نجاة البعض فلابد من تضحية البعض، ولكن التضحية لا تكون عبثا وإنما إن تطلب الأمر فقط، ولهذا اختارت قبل بداية كل شيء بضعة أفراد قد يرغبون حقا في ذلك ثم جعلت هذا الأمر في طي الكتمان إلى أن يحين وقته، وآه كم تمنت إليزا أن لا يحصل هذا معهم إطلاقا ولكن اضطرت إلى ما فوق استطاعتها وراحت تعلن عن بداية هذا الأمر.

وعند إشارتها تحرك كل من جون ونمير وسارة وانظموا إلى إليزا، فنفذوا تعويذة مكنتهم من عزل كل الأعداء عن باقي الفتية وتدميرهم وكان مقابل هذه التعويذة هو تدمير أنفسهم معهم لأنها لم تكن مضادة السحر بل كانت ضمن كتب السحر المحرمة التي يمنع تعليمها.

فانقلب إذا السحر على الساحر وهُزِموا بسلاحهم فأتيحت فرصة النجاة للبقية ولم يتوانو في استغلالها فلم يشائوا أن تذهب تضحيتهم سدى لذلك سارعوا في تنفيذ آخر خطوة وهي تدمير المدينة كلها وفي خضم تلك الانفجارات استطاعوا أن يفتحوا باب النجاة ولكن للأسف لم يتمكنوا من النجاة كلهم.، فلقد تركوا بعضهم خلفهم أولائك الذين ضحوا بحياتهم في سبيل حريتهم وعزتهم وكرامتهم، ولم تذهب إذا

تضحيتهم هباءا منثورا، فالبرغم من عدم استطاعتهم رؤية عالمهم مرة أخرى إلا أنهم تمكنوا من الخروج إليه عبر نجاح أحبتهم.

وبعدها وصلوا إلى عالمهم وهم فرحين بذلك على الرغم من حزنهم الشديد على ما أصاب رفاقهم إلا أن أسى قلوبهم لم يمنع البهجة عن وجوههم، فشدة ما مروا به وما عانوه أنهكهم وجعلت منهم يطلبون الراحة وأن يمضوا في سبيلهم لتعويض ما فاتهم ومعالجة آلامهم والتخلص من سجن ماضيهم في عالمهم الأصل، لذلك تفرقوا كل على خطاه.

فأنا سوزان فقد قررت العودة إلى الديار ومصارحة والديها بما كانت تشكوه منهم من ضيق حتى يتسنى لها الاعتماد على نفسها ومن ثم تكفر عن خطيئتها وذلك لمساعدة غيرها بداية بإخوة نتاشا لعلها تغفر لها ثم مساعدة كل من يعاني من مرض كالذي فتك بنتاشا، وبالفعل لما عادت أخبرت والديها عما حصل معها فكان من غير المعقول أن يصدقاها ولكنهما لم يشاءا أن تعاود الكرة فقد ظنا أنها فعلت ذلك لأجل أن تحظى باستقلاليتها فتقبلا الوضع، وعندها بدأت سوزان بالعمل وإعانة أشقاء صديقتها ورعاية من هم بمثل حالهم ثم شكلت جمعية لمساعدة المرضى العاجزين عن التكفل بعلاجهم، فوفرت لهم الدواء وأخذت تناضل قدر المستطاع في تلبية حاجات المحتاجين وتقوم بالدعوى إلى مثل هذا الخير.

وأما أسامة لم تفارق لحظة غرقه عينيه مطلقا ولم ينسى السبب في ذلك مطلقا فعزم أن لا يغضب مرة أخرى وأن يعود إلى قومه وأن يساعد غيره وأن يفيدهم بكل ما تعلمه، لذلك صنع سفينة وأخذ يجوب العالم فيتعلم ويعلم يستفيد ويفيد

إلى أن وصل إلى الديار فأدهشهم واستطاع أن ينير عقولهم وأن يفتح منطقتهم على العالم فصاروا يشتهرون بالصيد والسفن.

وبيير لم يستطع المسكين أن ينسى مأساته ولا أن يضمر حقده وضغينته فكل ما يراه هو الانتقام، لذلك أخذ على عاتقه محاربة هؤلاء الطغاة ومساعدة المدلومين المغلوب على أمرهم ونصرتهم، فعاد إلى موطنه وجعلها قبلة الثائرين فأخذ ينظم الجيش ويقوم بتدريبهم وإكسابهم خبرته في الحياة وما نعلمهم في غير عالمه، ثم توجه بهم لشن الغارات وكان ينجح في أكثر من مرة فذيع صيته وتفتح الأمل في وجه المهزومين المستعبدين فثارت فيهم شرارة الحماس والتوق إلى الحرية فأعلنوا تمردهم وجعلوا من ثورته ثورتهم وهكذا استمر الكفاح معهم.

وألفونس أخيرا بعدما سلم جسده من الحريق شفي قبله كذلك فصار يميز بين الخبيث والطيب وبين الشر و الخير وبين الكذب والصدق لذلك لم يعد يهتم بما فعلته به ميريانا بل صار يهتم بإيجاد طريقة تمكنه من تغيير عقلية قومه وتقديم يد العون للضعفاء، فعيشه في ذلك العالم قد علمه أنه لا فرق بين أحد مهما اختلف شكله ولونه ومهما كانت طبقته فلا أحد خُيّر أين يولد ولكن كلنا ولدنا لنُخيّر ما نكون، إذا فإن الطبقية الموجودة في قومه وما يترتب عليها من تكبر واهانات وإذلالات واستغلال واضح للغير، كل ذلك قرر ألفونس أن يزيله، فعاد إلى قومه وهو مؤمن بفكرة واحدة راغبا في

تحقيقها وبدأ كفاحه الساق في ذلك وقد واجه مشقة فلم يكن أبدا بالأمر الهين تغيير سلوك العادة، فقد كان القوم تعود على الطبقية ويتوارثونها جيل بعد جيل فإذا بشخص يأتي ليزيل كل ذلك، كانت ردة فعل حتمية أن يُحارب، بل وحتى العبيد لم يرضوا التحرر فلم يسبق لهم أن عاشوا الحرية ولا يُجيدون العيش بها، لذلك فقد ظنوا أنها خطر عليهم فرفضوها وحاربوها، وبالمقابل كان هناك من ناصره ورحب بالفكرة وأخذوا يساندوها جنبا إلى جنب فشكلوا الجمعيات وساهموا في نشر الوعي وتوضيح مزايا الفكرة، بالفعل لم يكن الأمر سهلا بتاتا ولكن بالرغبة الصادقة والكفاح المرير أخذت الفكرة تزهر وتحقق نتائج النصر.

ومروى الفتاة الصحية التي عانت من بؤس الفقر أرادت أن تنتقم من فقرها الذي كان سببا في تعاستها هي وعائلتها، لذلك عزمت على تحطيم تلك العائلة وبالأخص ابنتهم المدللة وخير انتقام هو نجاح هائل، فتوجهت مباشرة لميدان العمل فلم تعد مروى تلك الضعيفة التي يستغلها أيا كان وفريسة لكل من أراد أن يفترسها بل صارت صلبة تعي كيفية سير الحياة وحياة من حولها فاجتهدت وكدت حتى تحقق لها ما تريد، وحينها ذهبت إلى تلك العائلة بأبهى صورة ومن غريب القدر أنها ذهبت في اليوم الذي كانت ستتزوج فيه ابنتهم من ذلك الذي أساء إليها وظن فيها الظنون، وحينما دخلت عليهم وأبهرتهم كانت بضعة كلمات كافية لكل شيء فقد قالت " جئت لآخذ أمي فهي ليست بحاجة البقاء في عائلة تحتضن

مجرمة أعمتلي عيني وشوهت صورتي وتستعبد أمي بعدما كانت سببا في موت أبي" فأخذت أنها وانصرفت، وفي بضعة لحظات من الذهول ألغى ذلك الشاب الزواج وهرع مسرعا إلى مروى يعتذر منها، أما تلك العائلة فقد نالت العقاب الذي تستحقه من قبل تلك السيدة الصديقة التي طالما اعتنت بمروى.

أما يوهان بقي لفترة تائها لا يدري أكان قتل أبيه صواب أم لا؟ وهل تمكنوا من اكتشاف الجثة ؟ وهل السكان يشكون به أم لا ؟ لكن الشيء الوحيد الذي لم يكن تائها فيه هو قراره في عدم العودة إلى تلك الديار مطلقا، وهكذا بقي لوحده حتى صادف طفل صغير فغير من طبعه، فلقد كان طفل وحيد يكاد يكون مجرد من تلثياب يرتجف من البرد ومنهك القوى فليس لديه ما يقتاته، اندفع إليه يوهان دون وعي وكساه من ملبسه ثم أخذ بيده تقدم له الطعام، لقد شعر يوهان بالسعادة لما ساعده فقلد كان الأمر بالنسبة له كأنما هو من تلقى السعادة فأعجبه الأمر وأراد أن يستمر فيه، (لم يدري يوهان أنه يتخيل ذلك الطفل نفسه وعند القيام بمساعدته فكأنما يساعد نفسه، لقد كان اشباع للذات) وعلى كل فلا بأس بالأمر مادام يرجى منه الخير.

وبالنسبة لزاراك فلولا روح إليزا لربما كان سيظل طول حياته يعايش صدمة أهله وقومه ولكن حينما رأى إليزا ومعناويتها المرتفعة وروحها القوية وصبرها الجلد وعزيمتها القوية وثقتها بالفوز مهما حصل..، كل ذلك حرك نفسية

زاراك وجعله يخطو خطوها ويحذو حذوها، فجعل يفكر هل هو حقا السبب فيما حصل لأهله ؟ وهل حقا يعد السعي للإكتشاف بهذا السوء؟ فماذا لو لم يتخطى تلك الحدود ؟ لربما حينها كان ذلك الرجل سيهلك ويأتي رفاقه البحث عنه؟ أليس حينها أيضا يمكنهم أن يعثروا على أهله؟ إذا فالذنب ليس ذنبه وليس هناك خطأ في البحث والاستكشاف وإنما الإشكال في قساوة البشر وغرورهم في أن يظنوا أنهم خير من غيرهم، وعلى هذا عزم زاراك أن يجوب العالم ويستكشفه مهما حصل وأن يحارب كل أنواع الأذى التي يجدها في طريقه.

أما تيريزا فما إن كادت المسكينة أن تنبسط من حريتها حتى حزنت على أخيها، فبعدما خاطرا بحياتهما لينجوان كلاهما أو يهلكان معا دون أن يترك أحدهما الآخر فهاهما الآن يفترقان ويضيعان المجهود الذي بذلوه في المختبر سدى.

هذا ما ظنته تيريزا في بادئ الأمر لكن هل هو حقا كذلك؟ أما كانت تضحيته ضرورية ؟ ماذا كان ينفعه لو ماتت معه؟ ولكن أليس ينفع لو عاشت لأجله؟ أن تعيش وتساند غيرها وتحزن وتفرح وتتألم ثم تستريح، ألن يكون ذلك يستحق تضحيته؟ تدافعت هذه الأفكار كلها متزاحمة في ذهن تيريزا فاضطربت وما وسعها سوى البكاء فأجهشت، وبعدها هدأت وشفى البكاء قلبها وغسل الدمع حزنها تبين لها أن تمضي في سبيل العيش لأجل غيرها من جهة ومن أجل نفسها من جهة أخرى، فالأولى وذلك إكراما لأخيها وأيضا لمساندة من هم

في حاجة لها، و الثانية فلأجل نفسها فقط فهي أيضا إنسان وتستحق العيش وليس فقط الأمر محتكر على الذين من هم في عيشة هنية.

فانطلقت بالعمل على مقرراتها وافتتحت دار أيتام فكفلتهم ورعتهم وكانت لهم بمثابة الأم الحنونة الصادقة فأغدقتهم بعطفها وكرمها وأعدتهم الحياة ومصاعبها وجعلت منهم دورا فعالا في بيئتهم حتى أن الأسنان صاروا يرون أنفسهم الأبناء الفعليين لها وجازوها بما أحسنت إليهم فوجدت في ذلك السرور ومنّت التضحية أخيها من أجل عيشها.

26.وقائع

منذ تجولي بداية من ذلك الصندوق النظام مرورا بمدينة الأشباح حتى عودتي إلى العالم الواقعية رأيت الكثير من الوقائع منها ما يبعث إلى التفاؤل والطمأنينة والإعتقاد خيرا بهذه الحياة وما فيها، ومنها ما يدعوا إلى التشاؤم والسخط ورأية انعدام الحياة واستحالتها مع طبيعة هؤلاء البشر خاصة وأن هذه الفئة الأخيرة تمثل الأغلبية بالنسبة إلى الفئة الأولى.

فكيف يمكن التعايش مع أناس مليئين بالحسد والكره والحقد والضغينة تقودهم أنانيتهم إلى المزيد من الجشع، يبتسمون بخبث، وراء كل تعاطف منهم مكر أكبر، لا يقيمون أي اهتمام لغيرهم، يرون أن الدنيا حيزت لهم وحدهم وحسب وأن كل من يسعى فيها غيرهم إنما هو ظالم معتدي يريد زوال ملكهم فواجب التخلص منه بشتى الطرق.

وبالرغم من هذا كله إلاّ أن بذرة الخير غير منقطعة، فمع قلة عددها وطول نموها فهي موجودة دائما وستظل أبدا وتأثيرها كبير قوي وفعّال، فلولاها لما بقي وجود ولما استطاع الضعيف أن يحلق وسط القوي.